

# مريض الوهم

## مولير



**مريض الوهم**



# مريض الوهم

تأليف  
مولين

ترجمة  
إلياس أبو شبكه



رقم إيداع ١٤٦٠٨ / ٢٠١٤  
تدمك: ٣٢٣ ٧٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

**مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة**

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة  
الشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره  
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٤٥ عمارت الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١٤٧١، القاهرة  
جمهورية مصر العربية

تلفون: +٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢      فاكس: +٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <http://www.hindawi.org>

---

تصميم الغلاف: محمد الطوبجي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي  
للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية  
العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2016 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

# المحتويات

٧  
٩  
٢٧  
٤٩

أسماء الممثلين  
الفصل الأول  
الفصل الثاني  
الفصل الثالث



## **أسماء المثلين**

**أرغان:** مريض وهم.

**بلين:** زوجة أرغان الثانية.

**أنجليكا:** ابنة أرغان وعشيقه كليانت.

**لوبيزون:** صغرى بنات أرغان وشقيقة أنجليكا.

**بيرالد:** شقيق أرغان.

**كليانت:** عشيق أنجليكا.

**السيد ديافواروس:** طبيب.

**توماس ديافواروس:** ابنه وعشيق أنجليكا.

**السيد بورغون:** طبيب أرغان.

**السيد فلوران:** أجزائى.

**السيد بونفوا:** كاتب عدل.

**توانيت:** خادمة.



# الفصل الأول

## المشهد الأول

أرغان (جالسًا وحده إلى منضدة أمامه يعُد بقطع من النحاس (فيش) بعض عقاقير أجزائية): اثنان وثلاثة ... خمسة، وخمسة عشرة، وعشرة ... عشرون (يأخذ زجاجة ويقرأ عليها ما يلي): «تستعمل في اليوم الرابع والعشرين حقنة صغيرة تدخل بسرعة فتنظر أحشاء حضرتك وتبردتها، ثلاثة فرنكات». إنَّ الذي لا يعجبني في السيد فلوران الأجزائي هو أنَّ ثمن عقاقيره مرتفع دائمًا ويطلب بهجة رسمية، ينبغي للمرء أنْ يكون عاقلاً فلا يجرد المرضى من فلوسهم، ثلاثة فرنكات ثمن تنظيف أحشاء؟! يكفي فرنكان، «وفي مساء اليوم نفسه تأخذ جرعة من شراب الجولاب رُكْبَ خصيصاً لتنويم حضرتك، وثمنه ثلاثة فرنكات». لا بأس فهذا الشراب ينومني في الليل «وفي اليوم الخامس والعشرين تأخذ جرعة مسهلة ومقوية رُكْبَ من الجولاب الشرقي وغيره حسب إشارة السيد بورغون، وثمنها أربعة فرنكات» هو! إنك تهزأ يا سيد فلوران، فالسيد بورغون لم يأمرك بأنْ تضع أربعة فرنكات، ضع ثلاثة فرنكات فقط. «وفي اليوم السادس والعشرين تستعمل حقنة لتسريح الغازات من بطنك. فرنكان». فرنك واحد يا سيد فلوران، «وتستعمل في اليوم السابع والعشرين علاجاً يطرد خارجاً أفكارك السوداء. ثلاثة فرنكات» حسناً، أنا شديد الغبطة بهذا السعر المعقول، «وفي اليوم الثامن والعشرين تأخذ جرعة من الحليب الممزوج بالشراب لتُبرد دم حضرتك، خمسة فرنكات» هو هو! مهلاً يا سيد فلوران، إذا استمررتُ

مطالبتك على هذه الخطأ فإنني أُعذل عن المرض، فاكتفي بأربعة فرنكات، لقد تناولت هذا الشهر ثمانية علاجات، واستعملت اثنى عشر تنظيفاً، وفي الشهر الماضي تناولت اثنى عشر علاجاً واستعملت عشرين تنظيفاً، فلا غرابة إذا كانت صحتي في هذا الشهر أسوأ منها في الشهر الفائت، وسلط السيد بورغون على ذلك ليضع له حداً. هيّا، خذوا من أمامي هذه العقاقير. (ينتبه إلى أن لا أحد في الغرفة!) لا أحد هنا! إنهم يتذكرونني دائمًا وحدي، (يقرع جرسًا أمامه) لا يسمعون ولن يسمعوا؛ فجرسي لا يدق دقًا كافيًا، درلن، درلن، درلن. عبئًا كأنني لا أدق، يا كلبة! يا حمقاء! إنهم طرش! توانيت (يكف عن قرع الجرس ويجعل يصرخ) درلن، درلن، درلن، أخذكم الشيطان! أيتذكرون مريضاً وحده؟! (يصرخ) درلن، درلن، إنه لأمرٌ فظيع! إنهم يتذكرونني أموت وحدي! درلن، درلن.

## المشهد الثاني

(أرغان - توانيت)

توانيت (وهي داخلة): آتية، آتية.

أرغان: آه يا كلبة! آه يا حمقاء!

توانيت (تتظاهر بأنها لطمت رأسها): يا لك لجوجاً! إنك تُلح في طلب الناس إلحادًا.

جعلني ألطم رأسي على زاوية النافذة.

أرغان (غضبان): آه يا خائنة!

توانيت (تقاطعه): آه!

أرغان: منذ ...

توانيت: آه!

أرغان: منذ ساعة ...

توانيت: آه!

أرغان: لقد تركتني ...

توانيت: آه!

أرغان: أخرسي أيتها الحمقاء ودعيني أخاصمك؛ فلقد جرحت حنجرتي.

توانيت: وأنت، لقد جعلتني أحطم رأسى، وهذا يساوى تلك، واحدة بواحدة إذا شئت.

أرغان: مازا؟! أيتها الحمقاء ...

توانيت: إذا خاصمت أنت أبكي أنا.

أرغان: تتركيني أيتها الخائنة؟!

توانيت (تقاطعه): آه!

أرغان: تريدين يا كلبة؟! ...

توانيت: آه!

أرغان: مازا؟! وهل ينبغي أن لا أذوق حتى لذة الخصم؟

توانيت: خاصمْ ما شئت وكيف شئت.

أرغان: ولكنك يا كلبة، لا تدعيني أخاصمك بمقاطعتك المتواصلة.

توانيت: إذا كان الخصم يحلو لك فأنا بدوري يحلو لي البكاء، كلُّ له لذته، آه!

أرغان: هيًّا ... قفي عند هذا الحد، أخِرِجي هذه العقاقير من هنا يا حمقاء! (ينهض)

هل نجحت الحقنة التي استعملتها اليوم؟

توانيت: حقنك؟

أرغان: نعم؛ كيف كان البول؟

توانيت: وحقك إِنِّي لا أتدخل في هذه المسائل، فعلى السيد فلوران أن يضع فيها أنفه

لأنَّه يستفيد منها.

أرغان: اهتمي بأن تهيني لي واحدة أخرى أستعملها بعد هنيةة.

توانيت: أرى أنَّ السيد فلوران هذا وذلك السيد بورغون يتصرفان بجسمك كما

يريدان، وأنَّهما يجدان فيك بقرة حلوبًا، وإنِّي لأريد أنْ أسألهما أي داء اكتشفاه فيك  
ليصفا لك جميع تلك الأدوية؟!

أرغان: أخرسي أيتها الحمقاء، فليس من شأنك أنْ تراقبني وصفات الطب. أحضرني

إِلَيْ ابنتي أنجليكا فلديَّ ما أقوله لها.

توانيت: ها هي ذي جاءت من نفسها؛ فلقد حزرت فكرك.

### المشهد الثالث

(أرغان - أنجليكا - توانيت)

أرغان: اقتربني يا أنجليكا، فلقد جئت في وقتك و كنت أريد أن أكلمك.

أنجليكا: ها أنا ذا مستعدة لسماع ما تريد أن تقوله.

أرغان: انتظري، (توانيت) هاتي عصاي، فسأعود بعد هنديه.

توانيت: أسرع بالذهب يا سيدتي، أسرع؛ فالسيد فلوران يخلق لنا مشاكل.

### المشهد الرابع

(أنجليكا - توانيت)

أنجليكا: توانيت!

توانيت: ماذ؟

أنجليكا: انظري إلى هنديه.

توانيت: نظرت إليك ... ماذ؟

أنجليكا: ألم تحزري عنِّي أريد أن أحدثك؟

توانيت: أشك في أنني حزرت، أعن عشيقنا الشاب؟ أظنك تريدين أن تحدثيني عنه؛

لأنَّ أحاديثنا تدور عليه منذ ستة أيام، ولا أخالك ترتأحين إلى نفسك إذا أنت لم تفتحي حديثه في كل ساعة.

أنجليكا: بما أنك تعرفين ذلك؛ فلا بأس أن أجعلك أول من تحدثني عنه، وإنني

أعترف لك أنني لن أتعب أبداً من التحدث عنه، وأنَّ قلبي يغنم جميع الفرص لكي ينفتح لك، ولكن أصدقيني يا توانيت، هل حدثتك نفسك يوماً بأن تأخذني على العواطف الملتئبة التي أحسُ بها نحوه؟

## الفصل الأول

توانيت: معاذ الله!

أنجليكا: وهل أنا مخطئة في استسلامي إلى تأثيراته العذبة؟

توانيت: لم أقل ذلك.

أنجليكا: وهل تريدين أن أُخرس شواعري أمام ذلك الهوى المضطرب الذي يشعر

به نحوبي؟

توانيت: معاذ الله!

أنجليكا: أصدقيني قليلاً، ألا ترين مثلثي شيئاً من السماء ومن مشيئة القدر في حكاية

تعارفنا؟

توانيت: بلى.

أنجليكا: ألا ترين أن دفاعه عنِي من غير أن يعرفني لا يمكن أن يصدر إلا عنِ رجل

شريف؟

توانيت: بلى.

أنجليكا: وأنَّ الإنسان لا يستطيع أن يطلب أكثر من ذلك؟

توانيت: اتفقنا.

أنجليكا: وأنَّه عمل ذلك بالطف ما يكون؟

توانيت: بدون ريب.

أنجليكا: ألا ترين يا توانيت أنَّه شخصية ممتازة؟

توانيت: لا جدال في ذلك.

أنجليكا: وأنَّ هيئته تدل على أنَّه أجمل شاب في العالم؟

توانيت: بكل تأكيد.

أنجليكا: وأنَّ في أقواله وأعماله أشياء نبيلة؟

توانيت: هذا أمر لا نزاع فيه.

أنجليكا: وأنَّه لا يمكن أن يُسمَع كلامُ أُعشق من الكلام الذي يُسمِّعني إياه؟

توانيت: صحيح.

أنجليكا: وأنَّه ليس ثمة أشأم من المعارضة التي يقفون بها حائلاً بيني وبينه والتي

تسد كل صلة بيننا وبين ذلك الحب الناري الذي توحيه إلينا السماء؟

توانيت: الحق في جانبك.

أنجليكا: ولكن يا توانيت، أتعتقددين أنه يحبني بمقدار ما يؤكّد لي؟

توانيت: هه! إنّ هذه المسائل كثيراً ما تستلزم كبير تدقّيق، فتكلشيرات الحُبُّ شديدة الشبه بالحقيقة، ولقد رأيت في ذلك جمهوراً من كبار المثلين.

أنجليكا: آه! ماذَا تقولين يا توانيت؟! وهل يمكن أن لا يكون صادقاً في كلامه؟!

توانيت: على كلّ ستحقّقين ذلك بنفسك، ورسالته التي تسلّمتها أمس والتي يطلب فيها يدك للزواج ستكون سبيلاً لك لتعلمي أصادق هو أم كاذب.

أنجليكا: آه يا توانيت! إذا خدعني هذا فلن أصدق رجلاً في حياتي.

توانيت: هو ذا والدك قادم.

## المشهد الخامس

(أرغان - أنجليكا - توانيت)

أرغان: أريد أن أطلعك يا بنتي على نبأ ربما لم تكوني تنتظرينه؛ إنّك مطلوبة للزواج ... مازا؟! تضحكين؟! صحيح، إنّ كلمة زواج تُفرِح وتسر، آه أيتها الطبيعة! أيتها الطبيعة! وأرى يا بنتي أن أسألك إن كنت ترغبين في الزواج.

أنجليكا: يجب عليّ يا والدي أن أنزل على كل ما تأمرني به.

أرغان: أنا مسرور بأن تكون بنتي مطيبة، إذن فالقضية انتهت ولقد وعدت بك.

أنجليكا: عليّ أن أسير حسب مشيتك سيرًا أعمى يا أبي.

أرغان: كانت زوجتي - خالتك - ترغب إلى أن أجعلك راهبة، وهذا رأي أختك الصغرى أيضًا.

توانيت (على حدة): هذه البهيمة لها حُجّتها في ذلك.

أرغان: لم تكن تريده أن ترضى بهذا الزواج، ولكنني حملتها على الاقتناع بصحته وأعطيت كلامي.

أنجليكا: إني لمدينة لك بهذا الكرم يا أبي.

## الفصل الأول

توانيت (لأرغان): الحق أقول لك أني شاكرة لك ذلك، وهذا أعقل عمل قمت به في حياتك.

أرغان: لم أر الشخص بعد، ولكن قيل لي أني سأرتاح إليه، وأنت أيضاً.

أنجليكا: بدون ريب يا أبي.

أرغان: كيف رأيته؟

أنجليكا: بما أن إرادتك تفسح لي أن أفتح لك قلبي فلا أتردد في القول لك أن الصدفة شاءت أن نتعرف منذ ستة أيام، وأن الطلب الذي عُرض عليك إنما هو نتيجة الميل الذي تبادلناه.

أرغان: لم أعرف ذلك، ولكني مسروor جدًا بمعرفته، قيل لي إنه فتى عالٍ.

أنجليكا: نعم يا أبي.

أرغان: ذو قامة جميلة.

أنجليكا: بدون ريب.

أرغان: جذاب في شخصه.

أنجليكا: بكل تأكيد.

أرغان: ذو سخنة جميلة.

أنجليكا: جميلة جداً.

أرغان: عاقل وشريف الخلق.

أنجليكا: هكذا تماماً.

أرغان: نبيل.

أنجليكا: أنبئ شخص في العالم.

أرغان: يجيد التكلم باليونانية واللاتينية.

أنجليكا: هذا ما لست أعلمـه.

أرغان: وينال شهادة الطب بعد ثلاثة أيام.

أنجليكا: هو يا والدي؟

أرغان: نعم؛ أَوْلَم يقل لك ذلك؟!

أنجليكا: لا وحقك، ومن قال لك ذلك؟!

أرغان: السيد بورغون.

أنجليكا: وهل السيد بورغون يعرفه؟!

أرغان: يا له سؤالاً غريباً! يجب أن يعرفه لأنّه ابن عمّه.

أنجليكا: وهل كليانت ابن عم السيد بورغون؟!

أرغان: أي كليانت تعنين؟! نحن نتكلم عن الفتى الذي طلبتك يدك له.

أنجليكا: نعم.

أرغان: وهذا الفتى هو ابن عم السيد بورغون الذي هو ابن صهره الطبيب السيد

ديافواروس، وهذا الابن يُدعى توماس ديافواروس وليس كليانت، ولقد عقدنا هذا الزواج

في الصباح، السيد بورغون والسيد فلوران وأنا، وغداً يجيء إلى هذا الصهر مصحوباً

بوالده ... ماذا؟! أراك مضطربة؟!

أنجليكا: ذلك يا أبي إنّك تكلمت عن شخص غير الذي أعنيه.

توانيت: ماذا يا سيدي؟! كيف سمحت لنفسك أن تقوم بعمل كهذا؟! وهل تريد أن

تزوج ابنتك من طبيب مع تلك الثروة التي تملك؟!

أرغان: أجل؛ ولكن أي شأن لك أنت يا وقحة؟!

توانيت: إنك شديد التسرع، ألا تستطيع أن نتفاهم معاً من غير أن نتخاصم؟! تعالَ

نتكلم بهدوء. ما هي حجتك في صحة زواج كهذا؟

أرغان: حجتي هي أنني أريد أن أصاهر وأحالف الأطباء لأنّي مريض مبعد،

ومصاہرتی للأطباء تسمح لي بأن أثق في مرضي على عضد أمين، وأن أوفر لعيلتي

مصادر الأدوية التي أنا بحاجة إليها.

توانيت: طيب، هذه حجة مقنعة، ولكن فكر جيداً ... أمريض أنت؟

أرغان: ماذا تقولين أيتها الحمقاء؟ نعم؛ أنا مريض! نعم؛ أنا مريض أيتها الوجهة!

توانيت: إذن، نعم، يا سيدي أنت مريض، ولا ينبغي أن نتخاصم على ذلك، نعم، إنّك

مريض جدّاً، أوفق على ذلك، ومريض أكثر مما تظن، ولكن ابنتك يجب أن تتزوج بقريرين

لها هي، وبما أنها ليست مريضة فلا حاجة لأن تعطي يدها طبيب.

أرغان: إِنِّي أزوجها من طبيب لأجي أنا، والابنة الشريفة يجب أن تفرح وتغبطة بالاقتران بمن هو مفيد لصحة والدها.

توانيت: وحَقُّك يا سيدي، أتريد أن أنصحك كصديقة؟

أرغان: ما هي هذه النصيحة؟

توانيت: هي أن لا تفكر بهذا الزواج.

أرغان: والسبب؟

توانيت: السبب هو أن ابنتك لن ترضى به.

أرغان: لن ترضى به؟!

توانيت: لا.

أرغان: ابنتي أنا؟!

توانيت: ابنتك أنت. وستقول لك أنها لا تعبأ بالسيد ديافواروس ولا بابنه توماس ديافواروس ولا بجميع ديافواروس العالم.

أرغان: أما أنا، فإِنِّي أعبأ بهم جميًعا عدا أنَّ القسمة صالحة جدًّا؛ فالسيد ديافواروس غني كبير ولن يرثه غير ابنه توماس، ثم إن السيد بورغون الذي لا زوجة له ولا بنين سيعطيه جميع ما يملك لأجل هذا الزواج، والسيد بورغون رجل يبلغ دخله السنوي ثمانية آلاف فرنك.

توانيت: لا بد أنَّه فتك بكثير من الناس حتى صار غنيًّا!

أرغان: ثمانية آلاف فرنك دخل سنوي! مبلغ لا يُستهان به! فضلاً عن أنَّ ثروة الأب كبيرة جدًّا ...

توانيت: كل هذا حسن يا سيدي، ولكنني أعود فأنصحك، ويجب أن تبقى هذه النصيحة بيننا، بأن تخтар لها زوًجا آخر، فابنتك لم تُخلق لتكون مدام ديافواروس.

أرغان: وأنا أريد أن يكون ذلك.

توانيت: أَفَ لا تَقْلُ ذلك.

أرغان: كيف لا أقول ذلك؟!

توانيت: لا، لا تقل!

- أرغان: ولماذا لا أقول؟!  
توانيت: لكيلا يقول الناس أَنْك لا تفكّر بما تقول.
- أرغان: ليقل الناس ما يشاءون، وأكرر عليك أَنِّي أريد أن تنفذ الكلام الذي أعطيته.  
توانيت: وأنا أكرر عليك أَنَّها لن تنفذه.
- أرغان: إذن أرغمها عليه.  
توانيت: قلت لك إنَّها لن تصغي إليك.
- أرغان: ستتصغي أو أدخلها إلى الدير.  
توانيت: أنت؟!
- أرغان: أنا.  
توانيت: طيب!
- أرغان: كيف طيب؟!  
توانيت: لن تدخلها إلى الدير.
- أرغان: لن أدخلها إلى الدير؟!  
توانيت: لا.
- أرغان: لا؟!  
توانيت: لا.
- أرغان: إنَّها لحكاية مضحكة. لن أدخل ابنتي إلى الدير إذا شئت؟!  
توانيت: قلت لك لا.
- أرغان: ومن يمنعني؟!  
توانيت: أنت نفسك.
- أرغان: أنا؟!
- توانيت: نعم؛ فلن تسمح لقلبك أن يعمل هذا العمل.  
أرغان: بل أسمح له.
- توانيت: أنت تمزح.  
أرغان: لا، لا أمزح.

## الفصل الأول

- توانيت: العاطفة الأبوية تتغلب عليك.  
أرغان: لن تتغلب علىَّ.  
توانيت: دمعة صغيرة أو دمعتان، ذراعان ترميان على عنقك، ويا والدي الصغير خارجًا من شفتين عذبتين تكفي لتحرك عواطفك.  
أرغان: لا أعبأ بهذا كله.  
توانيت: بلى، بلى.  
أرغان: قلت لك لا أعبأ.  
توانيت: سخافات.  
أرغان: لا ينبغي أن تقولي: سخافات.  
توانيت: يا الله! ولكنني أعرف حق المعرفة، فأنت طيب الأخلاق.  
أرغان (بسخط): لست طيب الأخلاق، بل أنا شرير عندما أريد.  
توانيت: بهوادة يا سيدي، أنسنت أنك مريض؟!  
أرغان: أشير إليها إشارة مُطلقة بأن تستعد لقبول الزوج الذي أريد.  
توانيت: وأنا أحظر عليها تحظيرًا مطلقاً العمل بموجب إشارتك.  
أرغان: أين نحن؟! وأي جسارة تخول خادمة مثلك التلفظ بكلام كهذا في حضرة سيدها؟!  
توانيت: عندما لا يفكر رب البيت بما يقول يحق للخادمة العاقلة أن تؤنبه.  
أرغان (يركض وراءها): آه أيتها الوجهة! يجب أن أحطرك!  
توانيت (تنجنه وتضع الكرسي بينه وبينها): من واجبي أن أحول بينك وبين الأشياء التي تسبب لك العار.  
أرغان (يركض وراء توانيت حول الكرسي وفي يده عصاها): تعالى، تعالى أعلمك الكلام!  
توانيت (تنجنه): يجب علىَّ أن لا أدعك تنجز أعمالاً خرقاء.  
أرغان: يا كلبة!  
توانيت: لا، لن أوفق على هذا الزوج.

أرغان: يا غافلة! يا وقحة!

توانيت: لا أريد أن تتزوج توماسك هذا.

أرغان: يا شقية!

توانيت: ستطيعني أنا ولن تطيعك.

أرغان (يقف): أنجليكا، أوقفي لي هذه الواقعة!

أنجليكا: ولكن يا والدي ...

أرغان: إذا لم توقفيها أسقط عليك لعنتي.

توانيت (وهي خارجة): وأنا أحترمها إذا أطاعتكم.

أرغان (يرتمي على كرسيه): آه! آه! لم أبق أتحمل! هذا كله يميّتنـي.

## المشهد السادس

(بلين - أرغان)

أرغان: آه، اقتربـي يا زوجتي!

بلين: ما بالـك يا زوجـي المـسـكـين؟!

أرغان: تعالى، تعالى إلى هنا لنـجـدـتـي.

بلـين: ماذا تـرـاه جـرـى لـكـ يا ولـدـي الصـغـيرـ؟!

أرغـان: حـبـيـتـي!

بلـين: حـبـيـبيـ!

أرغـان: لقد أخـرـجـتـنـي عن نـفـسي ...

بلـين: وا حـسـرـتـاهـ يا زـوـجـيـ الصـغـيرـ المـسـكـينـ!ـ كـيـفـ جـرـىـ ذـلـكـ يا صـدـيقـيـ؟ـ!

أرغـان: إن توـانـيـتـ الشـقـيـةـ أـصـبـحـتـ أـوـقـحـ منـهـاـ فيـ الـماـضـيـ.

بلـين: ولـكـ كـفـاكـ استـسـلـامـاـ إـلـىـ الغـضـبـ!

أرغـان: لقد أـغـضـبـتـنـيـ جـدـاـ يا صـدـيقـتـيـ الصـغـيرـةـ.

بلـين: بـهـوـادـهـ يا ولـدـيـ، بـهـوـادـهـ!

## الفصل الأول

أرغان: وبقيت ساعة كاملة تعترضني في المسائل التي أريدها.

بلين: بهوادة! بهوادة!

أرغان: وقد بلغت بها الوقاحة إلى درجة أنها راحت تقول لي أنّي لست مريضاً.

بلين: إنّها لوقحة جدًا.

أرغان: وتعلمين يا قلبي أي إهانة هي هذه!

بلين: نعم يا قلبي، لقد أذنمت جدًا.

أرغان: هذه الشقة ستمitti يا صغيرتي.

بلين: هه لا! هه لا!

أرغان: إنّها السبب في جميع الأوجاع التي أقاسيها.

بلين: لا تستسلم للغضب إلى هذا الحد.

أرغان: وكثيراً ما طلبت منك أن تطرديها.

بلين: ولكن يا ولدي ليس هناك خدم وخدمات مجرّدون من الأخباء، ونضطر أحياناً أن نتحمل خصالهم السيئة بسبب خصالهم الحميدة، وتواترت هذه لها حسناتها كخادمة؛ فهي صادقة، ومجتهدة، وأمينة، وتعلم أنّه ينبغي لنا اليوم أن نراعي الخدامات اللواتي نتخدن، هوّا! توانيت.

## المشهد السابع

(أرغان - بلين - توانيت)

توانيت: مولاتي.

بلين: أجيبيني، لماذا أغضبت زوجي؟

توانيت (بلهجة عذبة): أنا يا مولاتي؟! وا حسرتاه! لا أدرى ماذا تريدين أن تقولي،

ولم أفك بسوى مرضاه سيدى في كل شيء.

أرغان: يا لك خائنة!

توانيت: قال لنا إنّه يريد أن يعطي يد ابنته لابن السيد ديافواروس، فأجبته أن القسمة مناسبة لها، على أنني ظنت أن إدخالها إلى الدير سيكون أنساب لها.

بلين: ليس في هذا ضرر على الإطلاق، وأرى أن توانيت مصيبة بما تقول.

أرغان: آه! إنك تصدقينها يا حبيبتي ولكنها لصّة، فقد صوبت عليّ مائة إهانة.

بلين: صدقتك يا صديقي. (لتوانيت) اسمعي يا توانيت، إذا أغضبت زوجي مرة أخرى أطرك خارجًا! والآن أعطيوني وشاحه المفرّى ومخدات لأهيء له مكانه على الكرسي. (لزوجها) اغرز قبعتك في رأسك حتى أذنيك، فليس أدعى إلى الزكام من تلقي الهواء بالأذنين.

أرغان: آه يا حبيبتي، إنّي لمدين لك بجميع العنایات التي تبذلنها لأجي.

بلين (وهي تضع المخدات حول أرغان): انهض لأنّص هذه المخدات تحتك. ضع هذه لتتكئ عليها، وهذه وراء ظهرك، وهذه لتسند بها رأسك.

توانيت (تضيع مخدة على رأسه بعنف): وهذه لتقيك الندى.

أرغان (ينهض غاضبًا ويرمي توانيت بالمخدة): آه أيتها الحمقاء! تريدين أن تخنقيني؟! (لتوانيت تهرب).

## المشهد الثامن

(أرغان - بلين)

بلين: هه لا! هه لا! ما هذا؟!

أرغان (يرتمي على كرسيه): آه! آه! آه! لم أبق أقدر أن أحتمل.

بلين: لماذا تستسلم هكذا إلى الغضب؟! لقد ظنت أنها تحسن عملاً.

أرغان: إنك لا تفهمين خبث هذه الشقيقة! آه يا صديقتي! لقد أخرجتني عن نفسي، وأصبحت بحاجة إلى ثمانية علاجات واثني عشر تنظيفاً لأعوض كل هذا.

بلين: هدئ روحك قليلاً يا صديقي الصغير.

أرغان: آه يا صديقتي! إنك عزائي الوحيد.

بلين: مسكين أنت يا ولدي الصغير!

أرغان: آه!لكي أبرهن لك على حبي إليك يا قلبي، أريد أن أكتب وصيتي كما قلت لك.

## الفصل الأول

بلين: لا يصح أن نبحث في هذا الآن، ولا أطيق أن أتصور هذه الفكرة، فكلمة وصية تكفي لترعشي حزناً وغمّاً.

أرغان: لقد قلت لك إنّي سأخاطب الكاتب العدل في ذلك.

بلين: هو هنا، فقد صحبته معى.

أرغان: أدخله إذن يا حبيبي الصغيرة.

بلين: وا حسرتاه! إن من تحب زوجها لا تفكر في أمور كهذه.

## المشهد التاسع

(الكاتب العدل - بلين - أرغان)

أرغان: اقترب يا سيد بونفوا، اقترب. وخذ لك كرسياً إذا شئت، لقد قالت لي زوجتي إنك رجل طيب الخلق ومن أصدقائها الخلصاء، ولقد كلفتها أن تحدثك عن وصية أريد تسجيلها.

بلين: وأسفاه! لست جديرة بأن أبحث أموراً كهذه.

الكاتب العدل: لقد شرحت لي يا سيد المقصود التي تنويها، ولديّ ما أقوله لك في هذا السبيل، وهو أنك لن تستطيع أن تنبئ امرأتك شيئاً بوصيتها.

أرغان: ولكن لماذا؟

الكاتب العدل: لأنّ العادة تقف حائلاً، فلو كنت في بلاد تعالج فيها الحقوق بالكتابة لصح ذلك، ولكن في باريس وفي البلدان المتأثرة بالتقاليد أو ببعضها على الأقل لن يصح ذلك، وكل محاولة من هذا القبيل تذهب عبثاً.

أرغان: إنّها لعادة وقحة جدًا أن لا يستطيع الزوج أن يترك شيئاً لامرأة يحبها وتحبه وتعتني به! تحدثني نفسى أن أستشير المحامي لأعلم بأى وسيلة أستطيع أن أقوم بها العمل.

الكاتب العدل: لا ينبغي لك أن تلجأ إلى المحامين؛ إذ إنّ هؤلاء كثيراً ما يكونون صارميين في أمور كهذه ويعتقدون أنّها جريمة كبيرة أن يجاوزوا حد القانون، وهؤلاء الناس يجهلون واجبات الضمير، على أن هنالك من نستطيع أن نستشيرهم، فهم يستحلون مجاوزة الشريعة برفق، ويعرفون أن يجعلوا عدلاً ما ليس مسموحاً به، وأن يمهدوا

الصعوبات ويجدوا وسائل لتعديل العادات والتقاليد بطرق خاصة، ولو لا هؤلاء لبقي العالم يرزح تحت مشاكل عديدة؛ إذ إنَّ تسهيل الأمور من ضروريات الحياة.

أرغان: لقد قالت لي زوجتي: يا حضرة السيد، إنَّ رجل طيب القلب حاذق، فأرجو

منك أن تقول لي كيف أعمل لأهبها ثروتي وأحرم أولادي جميعاً؟!

الكاتب العدل: كيف تعمل؟ تستطيع أن تخutar صديقاً حمياً لزوجتك تعطيه بشكل قانوني في وصيتك كل ما يُتاح لك أن تعطيه، وهذا الصديق يحيل إليها بدوره ما تكون قد أعطيته إياه، وتستطيع أيضاً وأنت في قيد الحياة أن تضع في يدها مالاً نقداً أو ورقاً لأمرها.

بلين: يا الله! لا حاجة لأن تزعج نفسك بذلك، فإذا حل بك ما أعيذك منه يا ولدي، اعدل عن البقاء في هذا العالم.

أرغان: صغيرتي!

بلين: نعم يا صديقي، إذا حل بك مكروه ...

أرغان: يا زوجتي العزيزة!

بلين: تصبح الحياة لا شيء في نظري.

أرغان: حبيبتي الصغيرة!

بلين: وألحق بك على الأثر لتأكيد لك أي عاطفة أشعر بها نحوك.

أرغان: إنك تندِّين قلبي يا صغيرتي، تعزِّي ... أتوسل إليك أن تتعزِّي.

الكاتب العدل (لبلين): إنَّ هذه الدموع ... ليس الآن وقت البكاء؛ لأنَّ وقت البكاء لم يَحْنْ بعدُ.

بلين: إنك لا تعلم يا سيدي مقدار حب الزوجة لزوجها.

أرغان: وإذا أسفت لشيء قبل أن أموت يا صغيرتي فهو أنني لم أُرْزِقْ ولدًا منك.

الكاتب العدل: لم يَفُتِ الوقت، فقد يجيء هذا الولد عاجلاً أو آجلاً.

أرغان: يجب أن أعمل وصيتي بالطريقة التي ذكرها حضرته، ولكن أريد الآن أن أضع بين يديك عشرين ألف فرنك ذهباً مخبأة في القبو، وسنددين لأمر حاملهما؛ أحدهما على السيد دامون والآخر على السيد جيرونونت.

## الفصل الأول

بلين: لا، لا أريد أن أسمع شيئاً من هذا، آه! كم هو المبلغ المخبأ في القبو؟

أرغان: عشرون ألف فرنك يا حبيبي الصغيرة.

بلين: كفى، لا تحدثني عن المال ... أرجوك ... آه! ... كم هو مبلغ السندين؟

أرغان: أحدهما أربعة آلاف فرنك، والآخر ستة آلاف.

بلين: كل ثروات العالم يا صديقي لا تساوي شيئاً إذا قيسْتْ بك.

**الكاتب العدل (لأرغان):** أتريد أن نبدأ بعمل الوصية؟

أرغان: نعم يا سيدي، ولكن أرى أن دخولنا إلى غرفتي يكون أنساب، (لزوجته):

تعالي، يا صغيرتي، وخذلي بيدي.

بلين: هيا يا ولدي الصغير.

## المشهد العاشر

(أنجليكا - توانيت)

توانيت: إنهم مع كاتب عدل، ولقد سمعتهم يتحدثون عن وصية، فحالتك زوجة

والدك لا تنام الليل، ولا ريب أن هناك مؤامرة على صالحك تزج بوالدك فيها.

**أنجليكا:** ليتصرف بثروته كما يطيب له بشرط أن لا يتصرف بقلبي، أتررين يا

توانيت في أي هوة يزجون به؟ بحقك يا توانيت، لا تتركيوني في محنتي هذه.

توانيت: أنا أتركك؟! إني أفضل الموت على هذا، ولقد حاولت خالتك أن تجعلني كاتمة

أسرارها ل تستفيد مني، على إني لم أستطع الميل إليها و كنت دائمًا من جهتك، فدعيني

أعمل، وسأعالج جميع الطرق خدمتك، غير إني أجذني مضطراً إلى تبديل سلوكي معك

لأنّمك من خدمتك الخدمة الصالحة. إذن؛ يجب عليَّ من الآن فصاعداً أن أكتم ميلي إليك

وأتكلّف الميل إلى والدك وخالتك.

**أنجليكا:** أرجو منك أن تجتهد لإطلاع كليانت على الزواج الذي اتفق عليه.

توانيت: كوني براحة بال من هذا القبيل.

مريض الوهم

## المشهد الحادي عشر

(بلين (في البيت) – أنجليكا – توانيت)

بلين: توانيت.

توانيت (لأنجليكا): إنّها تناديني. عمي مساء واتكلي علىَ.

(الستار)

## الفصل الثاني

(يمثل الملعب غرفة أرغان)

### المشهد الأول

(كليانت - توانيت)

توانيت (غير عارفة كليانت): مازا تطلب يا سيدى؟  
ماذا تطلب يا سيدى؟: مازا أطلب؟!

توانيت: آه آه، أنت؟! يا للمفاجأة! مازا جئت تصنع هنا؟

كليانت: جئت أعرف مصيري، جئت أكلم أنجليكا الوديعة وأستشير قلبها وأسئلتها  
عن رأيها في ذلك الزواج المشئوم الذي اطلعت على حبره.

توانيت: حسناً: ولكن لا يصح أن تُخاطب أنجليكا بهذه اللهجة دفعه واحدة، ولقد  
أخبرت ولا ريب بالمراقبة الشديدة التي تُراقب بها فلا تجرؤ على الخروج من البيت أو  
التكلم مع أحد من الناس.

كليانت: ولكنني لم أجئ إلى هنا بصفتي كليانت العاشق، بل جئت كصديق لأستاذها  
الموسيقي الذي خوّلني حق القول أنه يرسلني مكانه.

توانيت: هو ذا والدها، فحدّ قليلاً ودعني أقول له إنك هنا.

### المشهد الثاني

(أرغان - توانيت)

أرغان (يظن نفسه وحيداً): أشار علي السيد بورغون بأن أمسي في غرفتي كل صباح اثنتي عشرة مرة ذهاباً وإياباً، ولكنني نسيت أن أسأله أفي العرض أم في الطول.

توانيت: هو ذا يا سيدى ...

أرغان: أخفضي صوتك يا شقيقة، فلقد زعزعت دماغي، أفلأ تعلمين أن الناس لا يرفعون أصواتهم أمام المرضى؟

توانيت: أردت أن أقول لك يا سيدى ...

أرغان: قلت لك أخفضي صوتك.

توانيت: سيدى ... (تتظاهر بأنها تتكلم).

أرغان: ماذا؟

توانيت: قلت لك أن ... (تتظاهر بأنها تتكلم).

أرغان: ماذا تقولين؟!

توانيت (بصوت مرتفع): قلت لك إن هنا رجلاً يريد أن يكلمك.

أرغان: ليدخل.

(تشير توانيت لклиانت بالدخول.)

### المشهد الثالث

(أرغان - كليانت - توانيت)

клиانت: سيدى ...

توانيت (لклиانت): لا ترْفَعْ صوتك إلى هذه الدرجة مخافة أن تزعزع دماغ حضرته.

клиانت: سيدى، إني لشديد الغبطة برؤيتي إليك واقفاً وأحسن حالاً من الماضي.

توانيت (تتظاهر بأنها غضبت): مَاذَا تقول؟! أَحْسَن حَالاً مِنَ الْمَاضِي؟! هَذَا خَطأ، فَحُضْرَتِه أَسْوَأ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ.

كليانت: سمعت من يقول إن حضرته أحسن حالاً، وأرى وجهه مشرقاً!

توانيت: مَاذَا تَقْصِدُ أَنْ تَقُولُ بِوجْهِكَ الْمَشْرُقُ هَذَا؟! فَوَجْهُ سِيدِي سَيِّئ جَدًا، وَإِنَّهُمْ

لوقحاءُ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَالُوا لَكَ إِنَّهُ حَسْنٌ، فَهُوَ لَمْ يَسُؤْ بَعْدُ كَمَا سَاءَ الْيَوْمِ!

أرغان: الحق بجانبها.

توانيت: سِيدِي يَمْشِي وَيَنْامُ وَيَأْكُلُ وَيَشْرُبُ كُسَائِرَ النَّاسِ، وَلَكِنْ هَذَا لَا يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَرِيضاً جَدًا.

أرغان: صحيح.

كليانت: إِنَّمَا أَسْمَعَهُ الْآنِ يَدِبُّ الْقَنُوطَ فِي نَفْسِي ... جَئَتِي يَا سِيدِي مِنْ قَبْلِ أَسْتَاذِ الْأَنْسَةِ ابْنَتِكِ ... مِنْ قَبْلِ أَسْتَاذَاهَا فِي الْمُوسِيقِيِّ، فَلَقَدْ اضْطُرَّ أَنْ يَصْرُفَ بَضْعَةَ أَيَّامٍ فِي الْجَبَالِ، وَبِمَا أَنِّي صَدِيقُهُ الْحَمِيمِ فَقَدْ أَرْسَلَنِي لِأَوَّصِلَ مَكَانَهُ إِعْطَاءَ الدُّرُّوزِ لِلْأَنْسَةِ ابْنَتِكِ خَشِيَّةً أَنْ تَنْقُطُعَ عَنْهَا فَتَنْسِي الْأَمْثُولَاتِ السَّابِقَةِ.

أرغان: حسناً جدًا، (لتوانيت) نادي أنجليكا.

توانيت: أَرِيَ مِنَ الْأَوْفَقِ يَا سِيدِي أَنْ آخِذَهُ إِلَى غَرْفَتِهِ.

أرغان: لا، بل دَعِيَتِهَا تَحْضُرُ إِلَى هَذَا.

توانيت: وَلَكِنَّهُ لَا يُسْتَطِعُ أَنْ يَلْقَنَهَا أَمْثُولَاتِهَا كَمَا يَجِبُ أَنْ يَلْقَنَهَا إِيَاهَا إِذَا لَمْ يَخْتَلِيَا مَعًا.

أرغان: بلى، بلى.

توانيت: وَلَكِنَّ الضَّجَيجَ يَزْعُجُكَ يَا سِيدِي وَيَزْعُزُ دِمَاغَكَ، وَلَا يَصْحُ أَنْ تَتَأْثِيرَ بِشَيْءٍ فِي الْحَالَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا.

أرغان: لا، لا، فَأَنَا أَحْبُّ الْمُوسِيقِيِّ وَسَأَكُونُ مَسْرُورًا جَدًا ... آه! هِيَ هَذِهِ، (لتوانيت)

أَخْرَجَيَ أَنْتَ وَانْظَرِي امْرَأَتِي هَلْ ارْتَدَتْ ثِيَابَهَا؟

## المشهد الرابع

(أرغان - أنجليكا - كليانت)

أرغان: تعالى يا بنتي، فأستاذك الموسيقي خرج إلى الجبال، وأرسل إليك هذا الشخص  
لينوب منابه.

أنجليكا (تعرف كليانت): آه! أيتها السماء!

أرغان: ما هذا؟! من أين هذه الدهشة؟!

أنجليكا: هي ...

أرغان: مازاها! ما الذي يدهشك بهذا الشكل؟!

أنجليكا: هي حادثة مدهشة يا والدي.

أرغان: كيف؟!

أنجليكا: حلمت في الليل أني في أشد حالات الاضطراب، وأن رجلاً يشبه حضرة هذا  
السيد مثل أمامي، فاستجدت به وأنقذني مما أنا فيه، ويا لها دهشة كبيرة عندما جئت  
إلى هنا فوجدت أمامي من كان يَجُول في مخيالي طول الليل.

كليانت: إنه لحظٌ كبير أن أشغل فكرك، إن في الليل وإن في النهار، ولا ريب أن  
سعادتي تكون كبيرة إذا وجدت نفسك في مأزق ما ورأيتني أهلاً لأن أنقذك منه، وليس  
هناك شيءٌ يستطيع ...

(تدخل توانيت).

## المشهد الخامس

(أرغان - أنجليكا - كليانت - توانيت)

توانيت (لأرغان): وحقك يا سيدى إني لك الآن، وقد رجعت عن كل ما قلته أمس،  
 فهو ذا السيد ديافواروس الأب والسيد ديافواروس الابن أقبلًا جميًعا لزيارتكم، وسيكون  
لك صهر متاز؛ إذ إنك ستشاهد أجمل فتى في العالم، لم يَقُل إلا كلمتين لا غير سحرتا  
قلبي، ولا ريب أن ابنتك ستنجذب إليه.

## الفصل الثاني

أرغان (لكليان特 الذي تظاهر بالذهب): لا تذهب يا حضرة السيد، فسأزوج ابنتي، وهو ذا قرينه الم قبل الذي لم تشاهد بعده.

كليانت: إنه لشرف كبير يا سيدي أن أكون شاهداً على مقابلة جميلة كهذه.

أرغان: إنه ابن طبيب، وسيكون الزواج بعد أربعة أيام.

كليانت: حسنٌ جدًا.

أرغان: أطلع أستاذها الموسيقي على الأمر ليكون هنا يوم العرس.

كليانت: لن أتأخر.

أرغان: وأرجو منك أن تكون حاضرًا أنت أيضًا.

كليانت: إنك تُتَشَّرِّفْ فني كثيرًا يا سيدي.

توانيت: هيا، اصطفوا، فقد جاءنا.

## المشهد السادس

(ديافواروس - توماس ديافواروس - أرغان - أنجليكا - كليانت - توانيت - خادم)

أرغان (واضعًا يده على قبعته من غير أن يرفعها): إن السيد بورغون يا سيدي قد حظر عليَّ أن أكشف عن رأسى، فأنلت من رجال المهنة وتعرف العواقب.

ديافواروس: لسنا في جميع زياراتنا إلا لتحمل النجدة للمرضى لا لنزعجهم (أرغان وديافواروس يتكلمان في وقت واحد).

أرغان: أتقبل يا سيدي ...

(يتكلمان في وقت واحد فيقاطع أحدهما الآخر ويختلط الكلام بعضه ببعض.)

ديافواروس: جئنا إلى هنا يا سيدي ...

أرغان: بكثير من الغبطة ...

ديافواروس: ولدي توماس وأنا ...

أرغان: الشرف الذي توليني إياه ...

ديافواروس: لنؤكد لحضرتك ...  
أرغان: ولقد كنت أتمنى ...  
ديافواروس: سرورنا الشديد ...  
أرغان: لو تمكنت من الذهاب إليك ...  
ديافواروس: باللطف الذي أظهرته لنا ...  
أرغان: لأؤكد لك ...  
ديافواروس: في استقبالك إيانا ...  
أرغان: ولكنك تعلم يا سيدي ...  
ديافواروس: على شرف ...  
أرغان: ماذا يكون من أمر مريض مسكون؟! ...  
ديافواروس: هذا الاتحاد ...  
أرغان: لا يستطيع أن يعمل ...  
ديافواروس: ونؤكد لك ...  
أرغان: إلا أن يقول لك ...  
ديافواروس: إننا في المسائل المتعلقة ب مهمتنا ...  
أرغان: إنه يستفيد من جميع الظروف ...  
ديافواروس: سنكون دائمًا على استعداد يا سيدي ...  
أرغان: ليقول لك ...  
ديافواروس: في كلا الحالين ...  
أرغان: إنه رهن إشارتك ...  
ديافواروس: لنؤكد لك إخلاصنا. (يلتفت إلى ولده ويقول له) هيا توماس، تقدّم وتكلّم.

توماس: ألا ينبغي أن أبدأ بمخاطبة الأب؟  
ديافواروس: بلى.

توماس: لقد جئت يا سيدي أحبي وأكرّم وأحترم فيك والدًا آخر، ولكن والدًا آخر أجدني مدينًا له بأكثر مما أنا مدين به للوالد الأول؛ فالوالد الأول قد أوجدني في العالم أما أنت فقد اخترتني. لقد تقبّلني هو بداعي الضرورة وتقبلتني أنت بما عُهد فيك من لطف وكرم، فالذى أحفظه منه إنما هو عمل الجسد، أما الذى أحفظه منه فهو عمل مشيئتك،

وبقدر ما نرى أن العوامل الروحية هي فوق العوامل الجسدية أجدني مديناً لك بالاتحاد  
المقبل الذي جئت اليومأشكرك عليه شكرًا سابقاً لأوانه.

توانيت: لنحيي المدارس التي تخرج رجالاً ذكياء مثل حضرتك.

توماس: هل نجحت بخطابي يا أبي؟!

ديافواروس: نجاحاً باهراً.

أرغان (لأنجليكا): هيا، حبي حضرة السيد.

توماس (لوالده): أَقْبَلَهَا؟

ديافواروس: نعم، نعم.

توماس (لأنجليكا): سيدتي، لقد كانت السماء عادلة عندما منحتك لقب الخالة؛

لأن ...

أرغان: هذه بنتي التي تخاطبها وليس زوجتي.

توماس: وأين هي؟

أرغان: ستحضر.

توماس (لوالده): أَنْتَتَظِرُ يَا أَبِي إِلَى أَنْ تَحْضُرَ؟

ديافواروس: أكمل خطابك لحضررة الآنسة.

توماس: آنستي، كما أن تمثال ممنون كان يخرج لحنًا موسيقىً لدى انعكاس أشعة الشمس عليه، هكذا أشعر بنفسي تتحرك وبلسانني ينطلق لدى ظهور شمس جمالك. وكما أن الطبيعيين يلاحظون أنَّ الزهرة المطلقة عليها اسم هليوتروب تدور من غير انقطاع إلى جهة كوكب النهار، هكذا قلبي فإنه يدور دائمًا إلى جهة الكواكب المتألقة التي تنبثق من عينيك المعبودتين، فاقبلي يا آنستي أن أرفع اليوم إلى هيكل جواذبك قربان هذا القلب الذي لا يستهدف إلا أمراً واحداً، وهو أن يظل حياته خادمك المطيع وزوجك الأمين.

توانيت (ساخرة): هذه نتيجة العلم، إنها تلقن أشياء جميلة.

أرغان (لكليات): ماذا تقول في ذلك؟

كليانت: أقول إنَّ حضرة السيد يجيء بالعجبائب، وإذا كان يجيد حرفة الطب بقدر

ما يجيد حرفة الخطابة فكلنا يتمنى أن يكون في عداد مرضاه.

توانيت: بدون ريب، وإنَّه لأمر جميل جدًا لأنَّه يجيد إعطاء الحقن كما يجيد إعطاء الخطابات.

أرغان: هيا، هاتوا كراسي للجميع، اجليسي هنا يا بنتي. (الديافواروس) ترى يا سيدى أنَّ الجميع معجبون بحضرته ولدك، وإنَّي أراك سعيداً بولد كهذا.

ديافواروس: ليس لأنَّي والده يا سيدى، ولكنَّي أستطيع أنْ أقول إنَّي مسرور به وإنَّ جميع الذين يرونـه يتكلـمون عنه كما يتكلـمون عن غلام لا يضمـر شـراً. وأقول أيضـاً إنَّه لا ينطـوي على مخـيلة حـادة ولا على نـار كالـتي غالـباً ما تـرى في بعض النـاس، على أنَّ في هذا ما يجعلـني أرتاح إلى ذـكائه: الصـفة الضرـورية لحرـفتـنا الطـبـابة، عندما كان صـغيرـاً لم يكن متـحـمسـاً ومتـيقـظـاً، وكان يـرى دائمـاً في عـزلـة عن النـاس هـادـئـاً عـذـباً، لا يـفـوه بكلـمة ولا يـأـبه لـتـلـك الأـلـعـاب المـسـماـة صـبـيـانـية، ولـقد تـعبـنا كـثـيرـاً في تـلقـيـته القرـاءـة؛ إذ لم يكن وـهـو في التـاسـعة من عمرـه ليـجيـد مـعـرـفـة الأـحـرـف الأـبـجـديـة، وـكـنـت أـقـول في نـفـسي: «لا بـأـس؛ فـالـأشـجار المـتأـخرـة هي التي تحـمـل أـفـضل الثـمار، والنـقـش على الرـخـام أـثـبـت من النـقـش على التـرـاب، وإنـ يكنـ يستـلزم جـهـودـاً ومشـقة».

وـعـنـدـمـا أـرـسـلـتـه إلى المـدرـسـة وجـدـ في ذلك بعضـ الصـعـوبـة، على أنـه تـجـلـدـ على الصـعـوبـات وتـجـلـدـ كـثـيرـاً حتى إنَّ أـسـانـتـه رـاحـوا يـثـنـونـ على اـجـتـهـادـه وـانـصـبـابـه على الدـرـوسـ، وـأـخـيرـاً توـصـلـ إلى أـخـذـ شـهـادـاتـه بـجـبـينـ مرـتفـعـ، وـأـسـتـطـعـ أنْ أـقـول دونـ كـبـرـيـاءـ إنَّه ما منـ تـلـمـيـذـ قـدـرـ لهـ أنـ يـقـومـ بـمـثـلـ الجـلـبةـ وـالـضـجـيجـ اللـذـينـ قـامـ هوـ بـهـماـ فيـ المـنـازـعـاتـ المـدـرـسـيـةـ؛ فـهـوـ شـدـيدـ المـرـاسـ بالـقتـالـ فيـ سـبـيلـ مـبـادـئـهـ، وـلـاـ يـرـجـعـ عنـ رـأـيـهـ فيـ وـجـهـ منـ الـوـجـوهـ بلـ يـتـوـغـلـ دائمـاً فيـهـ حتـىـ يـنـفـذـ إلىـ آخرـ حدـودـ المـنـطـقـ، علىـ أنـ الذـيـ يـفـرـحـنـيـ فـيـهـ أـكـثـرـ منـ سـواـهـ فيـ هـذـهـ المـسـائـلـ وـالـذـيـ يـحـذـوـ فـيـهـ حـذـوـيـ؛ـ هوـ أـنـهـ يـتـمـسـكـ تـمـسـكـاًـ أـعـمـىـ بـأـرـاءـ الـقـدـماءـ، وـلـمـ يـشـأـ يومـاًـ أـنـ يـصـغـيـ إلىـ اـخـتـيـارـاتـ الـمـحـدـثـينـ فيـ مـخـتـرـعـاتـ هـذـهـ الـعـصـرـ الـمـتـعـلـقـةـ بـمـجـرـىـ الـدـمـ وـبـأـرـاءـ مـنـ هـذـهـ الطـبـيـةـ.

تـومـاسـ (يـأخذـ منـ جـيـبـهـ مـلـفـاًـ مـنـ الـأـورـاقـ يـقـدـمـهـ لـأـنـجـليـكاـ):ـ وـلـقـدـ وـضـعـتـ رـدـاًـ عـلـىـ هـؤـلـاءـ نـظـرـيـةـ أـجـرـوـ (يـحـيـيـ أـرغـانـ)ـ بـإـذـنـ مـنـ سـيـدـيـ أـنـ أـرـفعـهـاـ إـلـىـ حـضـرـةـ الـآنـسـةـ لـتـكـونـ عـرـبـونـاًـ عـنـ بـاـكـورـةـ عـقـليـ.

أنـجـليـكاـ:ـ هـذـهـ حـاجـةـ لـأـتـفـيـدـنـيـ يـاـ حـضـرـةـ السـيـدـ؛ـ لـأـنـيـ لـسـتـ مـلـمـةـ بـهـذـهـ الـمـسـائـلـ.

توانيت: هات هات، فقد يكون فيها رسوم نزين بها الغرفة.  
توماس: وبإذن آخر من سيدي أدعوكم جميعاً في يوم من هذه الأيام إلى حضور  
تشريح امرأة أريد أن أعطي رأيي فيه.

توانيت: سيكون جميلاً هذا التشريح؛ فقد سمعنا بأنَّ فتياناً يعطون رواية على  
شرف عشيقاتهم ولكن لم نسمع بأنَّ أحداً منهم أعطى تريحاً ... فلا ريب أنَّ التشريح  
يكون أجمل من الرواية.

أرغان (ديافواروس): أليس في نيتك يا حضرة السيد أن تجد لابنك مركزاً في البلاط؟  
ديافواروس: أقول لك بصراحة، إنَّ حرفتنا في جانب العظام لا تروقني أبداً، ولقد  
تبين لي أنَّ البقاء في جانب الجمهور أنساب وأوفقاً؛ فالجمهور وديع مسامٍ، ولا ترى  
نفسك مسؤولاً عن أمر معه، أما العظام فالذى يزعجني في التقرب منهم هو أنهم عندما  
يمرضون يفرضون الشفاء فرضاً على أطبائهم.

توانيت: في هذا ما يسر ويفرح، إنها لوقاحة أن يفرضوا عليكم شفاءهم؛ إذ لا تجيئون  
إليهم لتحملوا الشفاء بل لتُقْبِضُوا مرتبتكم وتعطوهما الأدوية، أما الشفاء فعليهما هم أن  
يجدوا إذا استطاعوا.

ديافواروس: صحيح، فما علينا إلا أن نعالج الناس بحسب الأصول.  
أرغان (لكليات): يا حضرة السيد، هل لك أن تجعل بنتي تن Sheldon أمام الحضور؟  
كليات: أنا بانتظار أوامرك يا سيدي، ولقد خطر لي لكي يطرب الحضور أن أنشد  
مع حضرة الآنسة فصلاً من مغناة صغيرة نظمتْ حديثاً. (يعطي أنجليكا ورقة) خذِي،  
هذا دورك.

أنجليكا: أنا؟!

كليات (إنجليكا بصوت منخفض): أرجوك لا تعاندي، ودعيني أفهمك ما هو  
الفصل الذي سننشده. (بصوت مرتفع) لا يطاوعني صوتي للإنساد، ولكن يكفي أن  
يسمعني الجمهور، وإني لأعتذر عن عدم تمكني من مرافقة حضرة الآنسة في المغني.  
أرغان: أليست الأبيات جميلة؟

كليات: هي مغناة صغيرة مرتجلة، ولن تسمعوا الآن إلا أنشودة من النثر الموقع أو  
من الشعر المنثور كالذى توجبه العاطفة وال الحاجة على شخصين يتكلمان بداهة.

أرغان: حسناً جدًا، فلنسمع.

كلياتن: إليكم موضوع الفصل: كان أحد الرعاة شاكحًا إلى جمال مشهد بدأ يراءى لعينيه، وإذا به يسمع ضجيجاً بالقرب منه سلخه عن جمال مشهد، فالتفت فأبصر رجلاً شرساً يسيء إلى راعية بكلمات وقحة، فما كان منه إلا أن راح يدافع عن جنس يجب على كل رجل أن يدافع عنه، وبعد أن عاقب الشرس على وقارته دنا من الراعية، فوقع نظره على فتاة تذرف من مقلتين لم يرَ أجمل منها في العالم دموعاً لم يشاهد في حياته أجمل منها، فقال في نفسه: «وا حستادا! هل ثمة من يقوى على إهانة فتاة بهذه الوداعة؟ وأي شرس بل أبي بربري لا يتقطر قلبه لدموع كهذه؟!» ثم عهد على نفسه أن يوقف مجرى تلك الدموع الجميلة، وعهدت الراعية على نفسها أن تشكره على خدمته الخفيفة، ولكن بطريقه جذابة عذبة ساحرة لم يقو الراعي معها على امتلاك نفسه، فقال في ضميره: «هل ثمة أحد جدير بهذا الشكر؟ وأي أمرئ لا يخاطر بحياته ولا يرمي نفسه في المهالك في سبيل الحصول على كلمات عذبة خارجة من فم يعرف الجميل كهذا الفم؟! وما عتم أن انفصل عن راعيته المعبدة، على أن النظرة الأولى كانت قد غرست في قلبه حباً لا تجيء السنوات بأحرّ منه. وسرعان ما أخذ يشعر بالآلام الفراق في مختلف أنواعها، وراح يسعى جهده لرؤيتها مرة أخرى، إلا أنّ الراعية كانت منيعة عنه، فصحت عزيمته أخيراً على طلب يدها للزواج؛ إذ أحس بأنه لن يستطيع الحياة بدونها، وكتب إليها بطاقة بثها فيها كل شواعره، وفي ذلك الوقت بلغه أنَّ والد هذه الفتاة الجميلة قد وعد بها فتى آخر وأن كل شيء يُعد لحفلة الزواج.

تصوروا أي قنوط استولى على قلب هذا الراعي الحزين فلم يُطْقِ صبراً على احتمال الضربة الأليمة، ولم يقو على الفكرة القاسية التي تُريه شخص من يحب بين ذراعي غيره، بيد أنَّ حبه اليائس فتح في وجهه سبيلاً استطاع به أن يدخل بيت راعيته ليختبر شواعرها نحوه و موقفها منه، فصادف هناك جميع الاستعدادات التي كان يخشها، ولقي مزاحمه وهو غير أهل لها. لقد لقي هذا المزاحم المضحك منتصراً بالقرب من الراعية الوديعة فثار الغضب في صدره وراح يرشق معبودته بنظرات موجعة، إلا أنَّ وجود والدها واحترامه نفسه منعاه عن أن يخاطبها بسوى العيون، وأخيراً استطاع أن يعائد القدر، وطفق يخاطب الراعية بهذا الكلام (ينشد):

كافاني، فيليس، أشقي كفاني  
ولا تكتمي عن فؤادي الجريح

## الفصل الثاني

ما في فؤادك يا أخت روحي!  
أأحيا على تعسي أم أموت؟

**أنجليكا (تنشد):**

تراني، ترسيس، أشقي الأنام  
فهذا الزواج ضريح الغرام  
تراني أبكى، تراني أشقي!

أرغان: هو هو! لم أكن أعلم أن بنتي تجيد الغناء إلى هذه الدرجة من غير أن تتردد.  
**كليانت (ينشد):**

فيليس، وا حسرتاه!  
ألي مكان بقلبك؟!

**أنجليكا: أحبك ترسيس، لا أنكر.**  
**كليانت:**

إلهي! أحقاً ترى ما سمعتُ  
أم الحب في أدنى يسخر؟!  
أعدي، أعيدي على مسمعي.

**أنجليكا: أحبك ترسيس!**  
**كليانت:**

بحرك، فيليس، لا تقطعني.

**أنجليكا: أحبك!**  
**كليانت:**

أعدي، أعيديه مليون مرة.

أنجليكا:

أحبك ترسيس، إنّي أحبك، إنّي أحبك، إنّي أحبك!

كليات:

إلهي شكرًا لما تنعم  
فإنّي فتى عاشق مغرم  
ولكن هذا المزاحم ...

أنجليكا:

إنّي لأبغض هذا المزاحم  
إنّي لأمقته كلمات  
فهذا المزاحم داء الحياة.

كليات: ولكن أبوك يريد ...

أنجليكا:

الموت أولى، الموت أولى.

أرغان: ولكن ماذا يجيب الوالد على كل هذا؟

كليات: لا يجيب بشيء.

أرغان: إنّه لوالد أحمق! يسمع كل هذا ولا يقول شيئاً؟!

كليات (يريد أن ينشد): آه يا حبي! ...

أرغان: لا، يكفي! إنّ في هذا الفصل مثلاً سيئاً؛ فالراعي ترسيس فتى وقع، والراعية فيليس فتاة حمقاء؛ لأنّها تجرؤ أن تتكلم بهذا الشكل أمام والدها. (أنجليكا)

أريني هذه الورقة. ها ها! أين الكلام الذي تنشدينه؟ لا أرى على هذه الورقة إلا الموسيقى.

كليات: ألم يبلغك يا سيدى أنّهم اخترعوا منذ مدة قريبة نوعاً من الكتابة يجمع بين النوتة والكلام؟!

أرغان: طيب، أشكرك ومع السلامه، فنحن نستغنى عن مغناط هذه.

كليلات: ظننت نفسي أفكهك.

أرغان: السخافات لا تفكه. آه! هذه زوجتي.

## المشهد السابع

(بلين - أرغان - أنجليكا - ديافواروس - توماس ديافواروس - توانيت)

أرغان: هو ذا ابن السيد ديافواروس.

توماس: سيدتي، إنَّ السماء أعطتك بحقِّ اسم الحاله؛ لأنَّه يُرى على وجهك ...

بلين: إني لسرورة بحضوري إلى هنا لأشرف ببرؤيتكم يا حضرة السيد.

توماس: لأنَّه يُرى على وجهك ... لأنَّه يُرى على وجهك ... لقد قطعت عليَّ الكلام يا سيدتي فبللت ذاكرتي.

ديافواروس: أجيَّل الكلام إلى فرصة أخرى يا توماس.

أرغان: كنت وددت لو حضرت قبل هنـيـة يا عزيزـتـي الصـغـيرـة.

توانيت: آه يا مولـاتـي! لقد خـسـرتـ كـثـيـراً بـعـدـ حـضـورـكـ إـلـىـ هـنـيـهـةـ لـتـسـمـعـيـ مشهدـ الـوـالـدـ الثـانـيـ وـتـمـثـالـ مـمـنـونـ وـالـزـهـرـةـ الـمـلـاقـ عـلـيـهاـ اسمـ هـلـيـوـتـرـوبـ.

أرغان (لابنته): هيـاـ ياـ بـنـيـتـيـ، المـسـيـ يـدـ حـضـرـةـ السـيـ وـأـعـطـيـهـ عـهـدـاـ كـمـاـ لـوـ كـنـتـ تعـطـيـنـهـ لـزـوـجـكـ.

أنجليكا: ولكنـ ياـ والـديـ ...

أرغان: ولكنـ ياـ والـديـ؟! ... ماـذـاـ تـقـصـدـيـ بـذـلـكـ؟!

أنجليكا: بـحـقـكـ لـاـ تـعـجـلـ الـمـسـائـلـ وـأـعـطـنـاـ الـوقـتـ الـلـازـمـ؛ لـنـتـعـارـفـ وـنـشـعـرـ كـلـاـنـاـ بـذـلـكـ المـلـلـ الـضـرـوريـ لـتـمـكـيـنـ الـاتـحـادـ الـكـامـلـ.

توماس: أـمـاـ أـنـسـتـيـ، فـالـمـلـلـ قـدـ خـلـقـ فـيـ نـفـسـيـ، وـلـاـ أـجـدـ حـاجـةـ لـلـانتـظـارـ.

أنجليكا: إـذـاـ كـنـتـ مـسـتـعـجـلـاـ إـلـىـ هـذـهـ الـدـرـجـةـ يـاـ حـضـرـةـ السـيـ فـأـنـاـ غـيـرـ مـسـتـعـجـلـةـ، وـأـصـارـحـ بـأـنـ جـارـتـكـ لـمـ تـتـمـلـكـ بـعـدـ مـنـ نـفـسـيـ.

أرغان: أوه! طيب، طيب! على أنَّ التملك هذا سيحدث بعد الزواج.  
أنجليكا: ولكن يا والدي أعطينا الوقت اللازم، فالزواج هو قيد لا ينبغي أن يُغلوَّ به  
القلب بالقوة، ولئن كان حضرته رجلاً شريفاً فلا يجوز له أن يرضى بشخص يُعطى له  
بالرغم منه.

توماس: نيفو كونس كانسيام، يا حضرة الآنسة، وأستطيع أن أكون رجلاً شريفاً  
وأن أرضي بك على يد حضرة والدك.

أنجليكا: إنها لطريقة سيئة أن يحب أحد الآخر على يد الغير وأن يسيء إليه.

توماس: إننا نقرأ في كتب الأقدمين يا حضرة الآنسة أنَّ عاداتهم في الزواج كانت أن  
تُخطف البنات من بيوت آبائهنَّ خطفًا جريأً؛ لكيلا يُظنُّ أنهن يرتمين بين أذرع الرجال  
بملء إرادتهنَّ.

أنجليكا: إنَّ الأقدمين يا حضرة السيد هم الأقدمون وإنما نحن أبناء اليوم، فالظواهر  
الخداعية لم تبق ضرورية في عصرنا هذا، وعندما نقتنع بصحة الزواج نسعى إليه من  
تلقاء أنفسنا دون أن نحتاج إلى من يجرُّنا إليه جرًّا، فاصبر يا حضرة السيد، وإذا كنت  
تحبني كما تقول فينبغي لك أن تنزل على إرادتي.

توماس: نعم يا حضرة الآنسة، إنني أحبك وأنزل على إرادتك بشرط أن لا تتعدى  
هذه الإرادة صالح حبي لك.

أنجليكا: ولكن أكبر دليل على الحب هو أن ينزل المحب على مشيئة من يحب.

توماس: ديستنغو يا حضرة الآنسة، أما ما يتعلق بالامتلاك فأقول كونسيدو، وأما  
ما لا يتعلق به فأقول نيفو.

توانيت (لأنجليكا): حضرته يجيد التحليل، فهو خارج من المدرسة حديثاً، فلماذا  
الإصرار إلى هذا الحد ورفضك الحصول على مجد الالتحاق بالجامعة؟!  
بلين: ربما كان لها ميل آخر.

أنجليكا: إن يكن لي ميل يا حضرة السيدة فهو ما يسمح لي به العقل والشرف.

أرغان: هلا! أتراني خيال صحراء هنا؟!

بلين (لزوجها): لو كنت مكانك يابني لما أرغمتها على الزواج وعرفت ماذا أصنع.

**أنجليكا:** أعرف ماذًا تريدين أن تقولي يا حضرة السيدة، ولا أجهل ما تضمرينه لي من الإخلاص، على أن نصائحك قد لا تكون موافقة للنزول عندها.

**بلين:** ذلك لأنَّ البنات العاقلات الشريفات مثلك يسخن من الطاعة والنزول على مشيئة آبائهن، كان ذلك حسنًا في الماضي.

**أنجليكا:** إنَّ لواجبات الابنة حدًّا يا حضرة السيدة، والعقل والشرائع لا تبسط هذه الواجبات على كل شيءٍ أياً كان.

**بلين:** تريدين أن تقولي أنك تخarin زوجًا على هواك؟!

**أنجليكا:** إن يكن والدي لا يريد أن يزوجني من الرجل الذي أحب، فأرجو منه على الأقل أن لا يرغمني على التزوج من رجل لا أستطيع أن أحبه.

**أرغان (للحضور):** أيها السادة، أستميحكم عذرًا على كل هذا.

**أنجليكا:** لكل فتاة هدف في الزواج، فمن الفتيات من يتزوجن ليخرجن من ربة أهلهن ويصبحن قادرات على التصرف بنفسهن كما يريدن، ومن الفتيات يا حضرة السيدة من يتخذن الزواج وسيلة للتجارة، فلا يتزوجن إلا ليثرين بموت أزواجهن، ويأخذن بالتنقل من زوج إلى زوج لكي يستولين على بقایاهم، فهؤلاء الفتيات لا ينظرن إلى الرجل النظرة الصحيحة.

**بلين:** أجدكاليوم شديدة الرغبة في التحليل، ولا أعلم ماذًا تقصدين من وراء ذلك؟

**أنجليكا:** أنا يا حضرة السيدة؟! ماذًا تريدين أن أقصد غير ما قصدت؟!

**بلين:** إنك حمقاء إلى درجة لا أستطيع معها أن أتحملك.

**أنجليكا:** أراك تحاولين استدراجي إلى أن أجيبك بمثل لهجتك، ولكن ثقي أنك لن تحصلي على هذه الميزة.

**بلين:** لا أرى حماقة توازي حماقتك.

**أنجليكا:** الحق في جانبك يا حضرة السيدة.

**بلين:** وفي عجرفتك سخافة وادعاء يسخر منها جميع الناس.

**أنجليكا:** كل هذا لا يفيد يا حضرة السيدة، وسأكون حكيمة بالرغم منك، ولكي أقنطك من النجاح في ما تريدين، لا أجد أفضل من الانصراف من وجهك.

## المشهد الثامن

(أرغان - بلين - ديافواروس - توماس - توانيت)

أرغان (لأنجليكا وهي خارجة): اسمعي، يجب أن تختارِي بين اثنين: إما أن تتزوجي حضرة السيد، وإما أن تدخلِي الدير. (لزوجته) لا تزعجي نفسك، فسأتدبر الأمر.  
بلين: أتركك الآن بأسف شديد، فلدي حاجة أقضيها في المدينة، وسأعود بعد هنีهة.  
أرغان: اذهبِي يا حبيبي الصغيرة، ومُرّي على الكاتب العدل كما اتفقنا.  
بلين: إلى اللقاء يا صديقي الصغير.  
أرغان: إلى اللقاء يا صغيرتي.

## المشهد التاسع

(أرغان - ديافواروس - توماس - توانيت)

أرغان: تلك امرأة تحبني ... هذا أمر لا يُصدق.  
ديافواروس: نستأذنك الآن بالانصراف يا سيدي.  
أرغان: أرجو منك يا سيدي أن تقول لي قليلاً كيف أنا اليوم.  
ديافواروس (يجلس نبض أرغان): توماس، خذ الذراع الأخرى لأرى إن كنت تعرف  
أن تعطي حكمًا في نبضه، ماذا تقول؟  
توماس: أقول إن نبض حضرته هو نبض رجل مريض.  
ديافواروس: حسناً.  
توماس: وإنَّه قليل التصلب لكيلاً أقول إنَّه صلب.  
ديافواروس: حسناً جدًا.  
توماس: وإنَّه سريع.  
ديافواروس: حسناً.  
توماس: ومتقطع أيضًا.

ديافواروس: حسناً جدًا.

توماس: وهذا يدل على انزعاج في البارانشيم سبلينيك؛ أي في الرئة.

ديافواروس: أحسنت جدًا.

أرغان: لا، فالسيد بورغون يقول إنَّ المرض هو في كبدِي.

ديافواروس: نعم؛ فمن يقول بارانشيم يقول هذا أيضًا بسبب العلاقة المتنية بين الاثنين، أفلم يُشرِّع عليك بأن تأكل اللحم المشوي؟!

أرغان: لا، بل الحساء فقط.

ديافواروس: طيب؛ فاللحم المشوي والحساء هما واحد، إن طبيبك حكيم عاقل، ولن يقدر لك أن تقع بين يديين أفضل من يديه.

أرغان: كم حبة ملح ينبغي لي أن أضع في البيضة؟

ديافواروس: ست حبات أو ثمانٍ أو عشر حبات بشرط أن يكون العدد مزدوجاً خلافاً لما في الأدوية التي يُوضَع فيها الملح بالعدد المفرد.

أرغان: إلى اللقاء يا حضرة السيد.

## المشهد العاشر

(بلين – أرغان)

بلين: جئت يا ولدي قبل الذهاب أطلعك على أمر ينبعي لك أن تحذر منه، فعندما مررت من أمام غرفة أنجليكا أبصرت فتى في داخل الغرفة لم يكدر يراكي حتى أطلق لساقيه الرّيح.

أرغان: فتى مع بنتي؟!

بلين: نعم؛ وكانت ابنته الصغيرة لويزون معهما فأحضرها إليك واستنطقتها.

أرغان: أحضرتها إليَّ يا صغيرتي، أحضرتها إلى هنا، آه! يا لها شقية! (وحده) لم أبقَ أستغرب عنادها وتصلبها.

## المشهد الحادي عشر

(أرغان - لوبيزون)

لوبیزون: مَاذَا تَرِيدُ يَا أَبِي؟ قَالَتْ خَالِتِي إِنَّكَ تَطْلُبُنِي.

أَرْغَان: أَجَل؛ اقْتَرَبَيِ، اقْتَرَبَيِ، دُوْرِي عَلَى نَفْسِكِ، ارْفَعِي عَيْنِكِ، انْظُرِي إِلَيَّ.

لوبیزون: مَاذَا يَا أَبِي؟!

أَرْغَان: مَاذَا؟!

لوبیزون: مَاذَا؟!

أَرْغَان: أَلَيْسَ لَدِيكَ شَيْءٌ تَقْوِيلِنِهِ لِي؟!

لوبیزون: إِذَا أَرْدَتَ أَنْ أُسْلِيَّكَ فَاسْمَعْ قَصَّةَ جَلَّ الْحَمَارِ أَوْ قَصَّةَ الْغَرَابِ وَالثَّلْبِ

الَّتِي سَمِعْتَهَا مِنْ مَدَةٍ.

أَرْغَان: لَيْسَ هَذَا مَا أَرِيدُ.

لوبیزون: وَمَاذَا تَرِيدُ إِذْنِ؟!

أَرْغَان: آه! يَا عَفْرِيَّةَ، إِنَّكَ تَجْهَلُنِ ماذا أَرِيدُ!

لوبیزون: عَفْوًا يَا بَابَا.

أَرْغَان: أَهْيَ هَذِهِ طَاعُوكَ لِي؟!

لوبیزون: مَاذَا؟!

أَرْغَان: أَلَمْ أُشْرِّ عَلَيْكَ بِأَنْ تَطْبِعِينِي عَلَى كُلِّ مَا تَرِينَ وَتَسْمِعِينَ؟!

لوبیزون: بَلِي يَا بَابَا.

أَرْغَان: وَهَلْ عَمِلْتِ بِحَسْبِ إِشَارَتِي؟!

لوبیزون: نَعَمْ يَا بَابَا، وَلَقَدْ جَئَتْ أَطْلَعْكَ عَلَى كُلِّ مَا رَأَيْتَ.

أَرْغَان: أَوْ لَمْ تَرِي شَيْئًا الْيَوْمَ؟

لوبیزون: لَا يَا بَابَا.

أَرْغَان: لَا؟!

لوبیزون: لَا يَا بَابَا.

أرغان: صحيح؟!

لوبيزون: صحيح.

أرغان: هلا! سأريك شيئاً لم تريه بعد.

لوبيزون (ترى قضيباً في يد والدها): آه يا بابا!

أرغان: آه! آه! أيها القناع الصغير، لم تريدي أن تقولي لي إنك أبصرت شاباً في غرفة

أختك!

لوبيزون (باكية): بابا!

أرغان (يأخذها من ذراعها): سأعلمك أن لا تكذبى مرة أخرى.

لوبيزون (ترتمي على قدميه): آه يا بابا! اغفر لي يا بابا، أوزعت إلى أخي أن لا أقول

لك، ولكن سأقول لك كل شيء.

أرغان: ينبغي أولاً أن أعقلك على كذبك، وبعد ذلك نتذر الباقى.

لوبيزون: اغفر لي يا بابا.

أرغان: لا، لا.

لوبيزون: باسم الله يا بابا لا تقل لا.

أرغان (يريد أن يضربها): هيّا، هيّا.

لوبيزون: آه يا بابا! جرحتني، جرحتني! اصبر لقد مت (تنظر أنت ماتت).

أرغان: هلا! ماذا أرى؟! لوبيزون، لوبيزون! آه يا رب، لوبيزون! آه يا بنتي! يا لي من

شقي! ماتت بنتي! ماذا صنعت؟! يا بنتي، يا لوبيزون، يا صغيرتي.

لوبيزون: بابا، بابا، لا تبك هكذا، فلم أُمْتَ تمامًا.

أرغان: يا لك عفريتة محتالة! هلا! لا! أغفر لك للمرة الأخيرة بشرط أن تطلعيني

على كل شيء.

لوبيزون: نعم يا بابا.

أرغان: ولكن احذري الكذب، فهذه أصبعي الصغيرة تقول لي كل شيء إذا كذبت.

لوبيزون: ولكن يا بابا لا تقل لأنشي أني قلت لك كل شيء.

أرغان: لا، لا.

لوبيزون (بعد أن تتحقق من أنه لا يسمعها أحد): دخل رجل إلى غرفة أختي، وكنت أنا هناك.

أرغان: وبعد ذلك؟

لوبيزون: سألته ماذا يريد؛ فقال لي إنه أستاذها في الموسيقى.

أرغان (على حدة): هم! هم! (لوبيزون) وبعد ذلك؟

لوبيزون: وبعد ذلك جاءت أختي.

أرغان: وبعد ذلك؟

لوبيزون: قالت له: اخرج، اخرج، اخرج! بالله اخرج! إنك تضعني في مأزق.

أرغان: أكملي.

لوبيزون: ولكنه لم يشاً أن يخرج.

أرغان: ماذا قال لها؟

لوبيزون: قال لها لا أعلم كم من الأشياء الكثيرة.

أرغان: وماذا أيضًا؟

لوبيزون: قال لها إنه يحبها جًدا وإنها أجمل فتاة في العالم.

أرغان: وبعد ذلك؟

لوبيزون: وبعد ذلك رکع على قدميها.

أرغان: وبعد ذلك؟

لوبيزون: وبعد ذلك جعل يُقبّل قدميها.

أرغان: وبعد ذلك؟

لوبيزون: وبعد ذلك مرت خالتى أمام الباب فهرب.

أرغان: ألم يبق شيء آخر تقولينه لي؟

لوبيزون: لا يا بابا.

أرغان: ولكن هذه أصبعي الصغيرة تقولأشياء. (يضع أصبعه على أذنه) اصبرى،  
ها ها! نعم؟ هو هو! إن أصبعي الصغيرة تقول لي أشياء لم تطاعيني عليها.  
لوبيزون: لا يا بابا، لا تُصدقها، فهي كذابة.

أرغان: أوه! طيب! سترى ذلك، اخرجي الآن واحذرِي كل شيء، اذهبِي. (وحده) آه!  
لا نعلم من أين تأتي المشاكل! ولم أبقَ أجد فرصة للتفكير في مرضي (يسقط على الكرسي)!

## المشهد الثاني عشر

(بيرالد – أرغان)

بيرالد: مَاذَا يَا أخِي؟! كِيفْ تَرَى نَفْسُكَ الْيَوْمَ؟!

أرغان: آه يَا أخِي! أَسْوَأُ مِنْ أَيِّ يَوْمٍ كَانَ.

بيرالد: كِيفْ أَسْوَأُ؟!

أرغان: نَعَمْ، أَشْعُرُ بِضَعْفٍ لَا يُصَدِّقُ.

بيرالد: هَذَا خَبْرٌ مَكْدُرٌ.

أرغان: حَتَّى إِنِّي لَمْ أَبْقَ أَقْوَى عَلَى الْكَلَامِ.

بيرالد: جَئْتُ إِلَيْكَ يَا أخِي لِأَعْرُضُ عَلَيْكَ نَصِيبًا لِلعزِيزَةِ أَنْجِيلِيَا.

أرغان (ينهض عن كرسيه ويتكلم بغضب): لَا تَكْلِمْنِي عَنْ هَذِهِ الشَّقِيقَةِ يَا أخِي!

وَقْحَةٌ، سَافِلَةٌ، مَلْعُونَةٌ، وَسَأَضْعُعُهَا فِي الدِّيرِ.

بيرالد: أَحْسَنْتَ، إِنِّي لَمْ سَرُورٌ بِعُودَةِ الْقَوَّةِ إِلَيْكَ وَبِأَنْ زِيَارَتِي أَفَادَتْكَ، أَمَّا الْمَسَائلُ

الْعَائِلِيَّةِ فَسَنَتَكَلِّمُ عَنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ.

(الستار)



## الفصل الثالث

### المشهد الأول

(بيرالد - أرغان - توانيت)

بيرالد: أتريد أن نتكلم هنديهة يا أخي؟!

أرغان: أصبر قليلاً فسأعود.

توانيت: خذ يا سيدى، فهل نسيت أنك لا تستطيع المشي من غير عصا؟!

أرغان: الحق معك.

### المشهد الثاني

(بيرالد - توانيت)

توانيت: أرجو إليك أن لا تهمل أمر ابنة أخيك.

بيرالد: سأستعمل جميع الوسائل لأنيلها كل ممتنياتها.

توانيت: يجب أن نحول دون هذا الزواج الغريب الذي حلا له أن يحدثه، ولقد

خطرت لي فكرة حسنة؛ وهي أن ندخل إلى هذا المكان طيباً من جهتنا يستدرج السيد

أرغان إلى إقصاء الطبيب بورغون عنه بعد أن يصف له تصرفاته السيئة. ونظرًا لأنَّه ليس

لدينا من يقوم بهذه المهمة فقد صحت عزيمتي على أن ألعب هذا الدور بنفسي.

بيرالد: ماذ؟!

توانيت: هي فكرة غريبة، وقد تكون موافقة أكثر منها حكمة، فدعني أعمل، واعمل أنت من جهتك. هو ذا صاحبنا.

### المشهد الثالث

(أرغان - بيرالد)

بيرالد: أتريد يا أخي أن أسألك قبل كل شيء أمراً واحداً وهو أن لا تدع الغضب يستولي عليك في أثناء الحديث؟!  
أرغان: بدون شك.

بيرالد: وأن تجib دون امتعاض عن الأسئلة التي أطرحها عليك؟  
أرغان: نعم.

بيرالد: وأن نبحث معًا في المسائل التي ستناولها بروح مجرد من الأهواء؟  
أرغان: يا الله! نعم، نعم.

بيرالد: من أين يا أخي وأنت صاحب ثروة طائلة وليس لديك إلّا ابنة واحدة؛ إذ لا أريد أن أكلمك عن الصغرى، قلت من أين جئت بهذه الفكرة المدهشة وهي أنك تريد إدخالها إلى الدير؟!

أرغان: ومن أين يا أخي أني صاحب السيادة في بيتي وأن لي الحق في أن أعمل ما أراه حسناً؟!

بيرالد: إنَّ زوجتك لا تفتَّ تتصحَّك بالتخلي عن ابنتيك، ولا أشك في أن روحاً من الشفقة يسيغ لها أن تراهما راهبين.

أرغان: ها ها! وصلنا إلى النقطة وبدأنا بالمرأة المسكينة، فهي التي تعمل جميع السيئات وجميع الناس يحملون عليها.

بيرالد: لا يا أخي، لندع زوجتك في مكانها، فهي امرأة مخلصة كل الإخلاص لعيالتك ومجردة من أي مصلحة خاصة، وهي إلى ذلك تحُبُّ وتحنُّ عليك حنُّا مجسماً، وتظهر لابنتيك عطفاً أكيداً، هذا لا ريب فيه، فلننفل هذا الباب ولنرجع إلى ابنتك، على أي مبدأ يا أخي تريد أن تزوجها من ابن طبيب؟!

أرغان: على مبدأ أن أعطي نفسي صهراً يوافقني.

بيرالد: ولكن هذا ليس حال ابنتك يا أخي، فهناك نصيب أمير لها.

أرغان: نعم؛ ولكن هذا يا أخي أمير لها.

بيرالد: ولكن الزوج الذي ستتذذه ابنتك أينبغي أن يكون لها أم لك؟

أرغان: ينبغي أن يكون لي ولها، وأريد أن أدخل إلى بيتي الناس الذين أحتج إليهم.

بيرالد: إذا كان الأمر كذلك فابنتك الصغرى لو كانت كبيرة أكنت تزوجها من

أجزائي؟

أرغان: ولم لا؟

بيرالد: وهل من الحكمة أن تبقى إلى الأبد مزملًا بأطبائك وأجزائك وتريد أن تكون

مریضاً بالرغم من الناس ومن الطبيعة؟!

أرغان: ماذا تقصد بقولك هذا؟!

بيرالد: أقصد يا أخي أنني لا أعرف رجالاً أقلّ مرضًا منك، وإنني لا أطلب لنفسي أن أكون أحسن منك صحة، والبرهان الكبير على صحتك وسلامة جسمك هو أن الأدوية والعقاقير التي استعملتها لم تتوصل بعد إلى تعكير مزاجك.

أرغان: أتعلم يا أخي أن العقاقير هي التي تحفظني، وأن السيد بورغون يقول إنَّ

قوای تنحط دفعه واحدة لو بقيت ثلاثة أيام دون أن أعتني بنفسي؟!

بيرالد: وأنا أقول لك إذا لم تحذر هذا الرجل فإنه سيظل يعتني بك حتى يقودك إلى العالم الآخر.

أرغان: ولكن يا أخي، تعال بحث بحثاً عقلياً، لا تؤمن بالطبع؟

بيرالد: لا يا أخي، ولا أرى أن الحكمة توجب علىَّ أن أؤمن به.

أرغان: ماذا؟ ألا تصدق شيئاً اعترف به جميع الناس واحتتمته جميع العصور؟!

بيرالد: ليس أنني لا أصدقه فحسب، بل أراه — بيني وبينك — عارضاً من أكبر عوارض الجنون البشري، ولئن نظرت إلى الأشياء نظرة فليسوف لا أرى أسف وأضحك من رجل يريد أن يشفى سواه.

أرغان: لماذا لا تزيد يا أخي أن تُصدق أنَّ رجلاً يستطيع أن يشفى رجلاً آخر؟!

**بيرالد:** لأن العقل يا أخي يدلنا على أن لوالب الآلة البشرية لا تزال إلى الآن أسراراً غامضة لا يفقه الإنسان شيئاً منها، وأنّ الطبيعة وضعت على أعيننا أغشية سميكة لا تستطيع معها رؤية شيء أو معرفة شيء.

**أرغان:** إذن تريد أن تقول إنَّ الأطباء لا يعرفون شيئاً.

**بيرالد:** بل يعرفون أشياء، فهم في الجملة يعرفون التكلم باللغة اللاتينية، ويجدون باللغة اليونانية تعداد أنواع الأمراض وتحديدها وتقسيمها، أما من حيث الشفاء منها فهم لا يعرفون شيئاً بالبنة.

**أرغان:** ولكن لا سبيل لأحد أن ينكر أنَّ الأطباء يعرفون بقضايا الأمراض أكثر مما يعرف سواهم.

**بيرالد:** إنهم يعرفون يا أخي أشياء لا تستحق الذكر ولا تشفي من أمور خطيرة، ولا يقوم فنهم إلا على خليط من الكلام يعطيك عبارات بدل البراهين ووعوداً بدل الحقائق.

**أرغان:** وأخيراً يا أخي هناك قوم لا يقلُّون عنك حذقاً وحكمة، ونرى جميع الناس يلجأون في أمراضهم إلى الأطباء.

**بيرالد:** هذا برهان على الضعف البشري وليس على حقيقة الفن.

**أرغان:** ولكن الأطباء يستعملون فنهم لأنفسهم، وهذا دليل على أنهم يعترفون بحقيقة.

**بيرالد:** لا، بل هناك من الأطباء من هم واقعون في الخطأ العام الذي يستفيدون منه ومن هم يستفيدون منه من غير أن يقعوا فيه، والسيد بورغونك مثلًا هو طبيب من قمة رأسه إلى باطن قدميه، فهو يؤمن بقواعد أكثر من إيمانه بجميع البراهين الحسابية، ويعتقد أنه من الخطأ أن يُجري امتحان على هذه القواعد، وهو إلى ذلك كله لا يرى في الطب شيئاً مبهماً أو مشبوهاً به أو صعباً، وبكل ما في روحه من الشراسة لا يعمد إلى وزن ما يجريه أو التبصر به، ولا يتبيني أن يُواخذ على ما يفعل، فهو يشحن الرجل إلى العالم الآخر بنية سليمة، ولا يكون فعل بقتله إياك إلا ما فعله بزوجته وأولاده وما يفعله بنفسه عند الحاجة.

**أرغان:** يظهر يا أخي أن حقدك على هذا الطبيب يرجع إلى زمن بعيد، ولكن لنرجع إلى صلب الموضوع، ماذا يفعل الإنسان عندما يمرض؟

بيرالد: لا يفعل شيئاً.

أرغان: أبداً؟!

بيرالد: أبداً مطلقاً، فما عليه إلا أن يلزم السكينة والراحة، فالطبيعة نفسها عندما نتركها على سجيتها تتملص بكل هدوء وتؤدة من الخل الذي سقطت فيه، فالقلق الذي يستولي علينا وفراغ الصبر هما اللذان يعكران على الطبيعة مجرها، وأرى أنَّ معظم الناس يموتون من عقاقيرهم وليس من أمراضهم.

أرغان: ولكن لا ينبغي لنا أن ننكر أنَّ باستطاعة الإنسان أن يساعد هذه الطبيعة ببعض الأشياء.

بيرالد: يا الله! اسمع يا أخي، إنَّ كل ما تقوله أوهام صرف يحلو لنا التمسك بها، ولقد تسالت بين البشر في كل زمان، خيالات جميلة صدقناها؛ لأنَّها تلائم مشاربنا ونزاعاتنا، فعندما يحدث الطبيب بمساعدته للطبيعة وإنقاذه إياها ونزعه عنها ما يضر بها ومده إياها بما ينفعها، وعندما يحدث بتنقية الدم وتطهير الأحشاء وإعادة الصدر إلى حالته الطبيعية وتقوية القلب وحفظ الحرارة، وعندما يقول لك إنه يملك أسراراً لإطالة الحياة، فهو في كل ذلك يقص عليك رواية الطب، ولكن عندما تصل إلى الحقيقة والتجربة لا ترى شيئاً من كل ذلك، ويكون شأنك معها شأن تلك الأحلام الجميلة التي لا تترك لك في ساعة اليقظة إلَّا مرارة تصديقها.

أرغان: تريد أن تقول إن جميع العلوم في العالم مخبوءة في رأسك، وتريد أن تقول إنَّك تعرف أكثر مما يعرفه جميع علماء الطب في هذا العصر؟!

بيرالد: إنَّ أطباءك العظام نوعان: إذا سمعتهم يتكلمون فهم أحذق البشر، وإذا رأيتهم يعلمون فهم أحجل الناس أجمعين.

أرغان: هي هاي! أرى أنَّك طبيب عظيم! لكم أريد أن يكون هنا الآن أحد هؤلاء السادة ليقررك بالحقيقة ويطح من صلفك!

بيرالد: لم آخذ على عهدي محاربة الطب يا أخي، ولكلٌ في الحياة أن يؤمن بما يريد، وما قلت له لك الآن يجب أن يبقى بيننا فلا يتجاوزنا إلى ثالث، وكنت أتمنى أن أنزعك ولو قليلاً من الخطأ الواقع فيه، وإذا شئت فأنا مستعد لأخذك تشاهد إحدى روايات مولير في هذا الصدد.

أرغان: إنَّ موليير هذا وقع هو وروياته ومهازله، وإنِّي لأجده أسفخ البشر  
بضحكه من أشراف الناس كالأطباء.

بيرالد: إنَّ موليير لا يضحك من الأطباء على المسرح بل من الطب.

أرغان: وأي شأن له مع الطب ليكفل نفسه المراقبة عليه؟! إنَّه ولا شك سخيف وقع  
أبله يسخر من الاستشارات والوصفات، ويهاجم صفوف الأطباء، ويضع على مسرحه  
أشخاصاً أجلاء كهؤلاء السادة!

بيرالد: ومن ترید أن يضع على مسرحه غير مهن الناس على تبانيتها؟! ألا ترى كل  
يوم على المسرح هؤلاء الأمراء والملوك الذين هم من بيوت كريمة كالأطباء؟!  
أرغان: وحق الله لا الشيطان، لو كنت طبيباً لانتقمت من وقارته، وعندما يمرض  
أتركه يموت دون نجدة، ولو كنت طبيباً ومرض لما وصفت له أقل تضميد أو أقل جرعة،  
ولقللت له: مت! مت! فهذا يعلمك مرة أخرى كيف يُسخَّر من الجامعة.

بيرالد: هو ذا أنت تستشيط غضباً عليه.

أرغان: نعم، فهو ضالٌّ، ولو كان الأطباء عاقلين لعملوا بحسب قولي.

بيرالد: ولكنَّه سيكون أعلم من أطبائك فلا يطلب نجدة منهم.

أرغان: لسوء حظه إذا هو لم يستعن بالأدوية.

بيرالد: وإذا هو لم يستعن بالأدوية فلأنَّ له حجته في ذلك، فهو يقول إنَّ الاستعاة  
بالأدوية لا يُسمح بها إلا للأقوياء المتصلبي الأجسام الذين يقوون على تحمل العقاقير  
فوق المرض، أما هو فلا قوة له إلا على حمل دائته.

أرغان: يا لها حجة سخيفة! اسمع يا أخي، لنقطع حديثنا عن هذا الرجل فهو  
يضعف ألي ويديني من الموت.

بيرالد: بطيبة خاطر يا أخي، ولكي نغير الحديث أقول لك إنه لا ينبغي لك أن تعزم  
عزمًا قاسياً على وضع ابنته في الدير، وإنَّه لا يليق بك أن تسير في مسائل الزواج بحسب  
أهوائِك المطوحة، وإنَّ الحكمة تقضي في مثل هذه الأحوال بأن ينزل الرجل على رغبة ابنته  
لأنَّ في القضية أمر حياة طويلة، وعلى هذه الحياة تتوقف السعادة أو الشقاء.

## المشهد الرابع

(السيد فلوران (في يده عقاقير) – أرغان – بيرالد)

أرغان (بيرالد فجأة): آه! بإذنك يا أخي.

بيرالد: كيف؟! ماذا تريد أن تفعل؟!

أرغان: أن تستعمل هذا الضماد، فلنتأخر.

بيرالد: أتهزأ؟! أترأك لا تستطيع أن تبقى هنيئة من غير ضماد وتطبيب؟! أَجْل ذلك

إلى وقت آخر والزم الراحة الآن.

أرغان (فلوران): إلى هذا المساء أو إلى غد يا سيد فلوران.

السيد فلوران (بيرالد): بماذا تحشر نفسك؟! وأي حق يخوّلك التعرض لأوامر

الطب ومنع حضرة السيد منأخذ علاجي؟! أرى أن جسارتكم لم أشد الوقايات!

بيرالد: اذهب اذهب، يظهر لي أنك لم تتعود مخاطبة الوجوه.

السيد فلوران: لا يصح أن تهزاً بالأدوية وتضيّع عليّ وقتى، فلم أجيء إلى هنا إلا

لتتنفيذ أمر جليل، وسأخبر السيد بورغون كيف منعوني من القيام بواجبى في تنفيذ

أوامره، ستري! ستري! (يخرج)!

أرغان: ستكون يا أخي سبباً لوقوع حادث مؤلم في هذا المكان.

بيرالد: وما هو هذا الحادث يا أخي؟ أهو أنك لم تستعمل علاجاً وصفه السيد

بورغون؟! قل لي، ألا سبيل لشفائك من مرض الأطباء؟! أتريد أن تحيا عمرك مدفوناً في  
عقاقيرهم؟!

أرغان: يا الله يا أخي! إنك تتكلم بلسان رجل سليم الجسد، ولو كنت مكانى لغيرت لهجتك هذه، وإنك لم السهل على الرجل أن يتناول الطب بفلات اللسان عندما يكون ممتنعاً بصحة جيدة.

بيرالد: ولكن أي داء بك؟!

أرغان: إنك لتثير غضبى! وأود لو شعرت بما أشعر به من الألم ... آه! هو ذا السيد

بورغون.

## المشهد الخامس

(السيد بورغون - أرغان - بيرالد - توانيت)

السيد بورغون: عرفت منذ هنيهة، هناك على الباب، أمرًا خطيرة. وهي أن أحداً هنا يسخر من أوامرني، وأن الدواء الذي وصفته قد رُفض.

أرغان: سيدي، ليس أنا ...

السيد بورغون (يقطّعه): إنها لجسارة كبيرة وتمردٌ غريب من مريض على طبيبه.

توانيت: يا للفظاعة!

السيد بورغون: لأن يُرفض دواء حلا لي أن أخترعه بنفسي ...

أرغان: ليس أنا ...

السيد بورغون: وأن أخترعه بحسب قواعد الفن ...

توانيت: يا للفظاعة!

السيد بورغون: دواء كان من شأنه أن يفعل في الأحشاء فعلًا عجيباً ...

أرغان: أخي!

السيد بورغون: لأن يُحتقر هذا الدواء ويرفض ...

أرغان: هو الذي ...

السيد بورغون: فهذا أمر بل حادث فظيع!

توانيت: صحيح!

السيد بورغون: بل جنائية هائلة على الطب.

أرغان: هو السبب ...

السيد بورغون: جنائية على جلالة الجامعة لا تُغتفر بسهولة ...

توانيت: صدقت.

السيد بورغون: أعلن لك أني قطعت علاقاتي معك.

أرغان: هو أخي ...

السيد بورغون: وقطعت صلتي بك.

توانيت: خيراً تصنع.

السيد بورغون: ولكي أختم أي علاقة لي بك أمزق الهبة التي كنت أنوي أن أهبهها  
لابن شقيقتي على أثر الزواج.

أرغان: إن أخي هو الذي سبب هذا الشر.

السيد بورغون: أتحقر حقنتي؟!

أرغان: مُر بإحضارها لأخذها.

السيد بورغون: كنت أوشكك أن أنقذك.

توانيت: لا يستحق ذلك.

السيد بورغون: كنت أوشكك أن أنظف جسدك تنظيفاً نهائياً.

أرغان: آه يا أخي!

السيد بورغون: ولم يكن باقياً سوى دزينة عقاقير لأشفيك الشفاء التام.

توانيت: إنه لا يستحق عنائك.

السيد بورغون: ولكن بما أنك لم تشا أن تُشفى عن يدي ...

أرغان: ليس الذنب عليّ.

السيد بورغون: بما أنك خرجم عن الطاعة الواجبة على المريض نحو طبيبه ...

توانيت: هذا يصرخ الانتقام!

السيد بورغون: بما أنك أعلنت التمرد على الأدوية التي أشرت بها ...

أرغان: هه! لم أنتمرد.

السيد بورغون: أقول لك إنني أتخلى عنك لدائتك؛ لتشویش أحشائك، لفساد دمك،  
ولتعكير مزاجك!

توانيت: خيراً صنعت.

أرغان: يا الله!

السيد بورغون: وأريد قبل أربعة أيام أن تصبح في حالة مشئومة ...

أرغان: يا رحمة الله!

السيد بورغون: وأن تقع في البراديبسي ...

أرغان: يا سيد بورغون!  
السيد بورغون: ومن البراديبسي للأبيسي ...  
أرغان: يا سيد بورغون!  
السيد بورغون: ومن الأبيسي لليانترى ...  
أرغان: يا سيد بورغون!  
السيد بورغون: ومن اليانترى للديسنترى ...  
أرغان: يا سيد بورغون!  
السيد بورغون: ومن الديسنترى للهيدروبىسي ...  
أرغان: يا سيد بورغون!  
السيد بورغون: ومن الهيدروبىسي لفقدان الحياة حيث يقودك جنونك (يخرج).

### المشهد السادس

(أرغان - بيرالد)

أرغان: آه يا الله! لقد متُ! لقد طوحت بي يا أخي!  
بيرالد: ماذَا؟! ما بك؟!  
أرغان: لم أَبْقَ أتحمل، وبدأت أشعر أنَّ الطب ينتقم.  
بيرالد: وحقك يا أخي أنت مجنون، فلأي داعٍ كل ما تفعل؟! عُد إلى نفسك قليلاً ولا ترسل نفسك على أوهامها.  
أرغان: ألم تسمع يا أخي تلك الأمراض الهائلة التي هددني بها؟!  
بيرالد: يا لك رجلاً ساذجاً بسيطاً!  
أرغان: وقال إنِّي سأصبح في حالة مشوومة قبل أربعة أيام.  
بيرالد: وأي وزن لكلامه؟! فهو أعجوبة تكلمت؟! يُخَيلُ لمن يسمعك أنَّ السيد بورغون يقبض بيده على خيط أيامك فهو يبسطه ساعة يشاء ويشده ساعة يريد كأنَّه أُوتِي سلطة سامية، فاعلم أنَّ مبادئ حياتك هي في نفسك، وأنَّ غضب السيد بورغون لا يستطيع أن يميتك إلا قدر ما تستطيع عقاقيره أن تحبيك.

### الفصل الثالث

أرغان: آه يا أخي! إنه يعرف مزاجي كما هو والطريقة التي يديرني بها.  
بيرالد: لا ينبغي لك أن تذكر أئكَّ رجل وهمي يرى الأشياء بمقلة غريبة.

### المشهد السابع

(أرغان - بيرالد - توانيت)

توانيت (لأرغان): مولاي، هو ذا طبيب يطلب رؤيتك.

أرغان: وأي طبيب؟!

توانيت: طبيب من الطب.

أرغان: أسألك من هو.

توانيت: لا أعرفه، ولكنه يشبهني كما تشبه النقطة النقطة، ولو لم أكن واثقة أئكَّ  
والدتي كانت امرأة شريفة لقلتُ إنه أخ لي جاءت به أمي بعد موت والدي.

أرغان: أدخليه.

### المشهد الثامن

(أرغان - بيرالد)

بيرالد: إئكَّ مخدوم كما تريد، طبيب يتركك وأخر يمثل لديك.

أرغان: أخشى أن تكون سبباً لأمر غير محمود.

بيرالد: ألا تحيد عن هذه الفكرة؟!

### المشهد التاسع

(أرغان - بيرالد - توانيت (متذكرة بزي طبيب))

توانيت (لأرغان): تقبّل يا حضرة السيد زيارتي هذه واقبل أن أقدم لك خدماتي  
الصغيرة التي تحتاج إليها.

أرغان: أشكرك يا سيدتي. (ببيرالد) وحقك إنّه توانيت بعينها.  
توانيت: أرجو منك يا حضرة السيد أن تعذرني، فلقد نسيت أن أعطي خادمي  
إشارة ضرورية وسأعود سريعاً.

### المشهد العاشر

(أرغان - ببيرالد)

أرغان: أكنت تشك في أنّه توانيت؟!  
بيرالد: حقاً! إنه لشبه غريب، ولكن كثيراً ما شاهدنا مثل هذه الأنواع من الأشياء،  
والتواريخ ملأى بمثل هذه الألعاب من الطبيعة.  
أرغان: أما أنا فإني مدهوش، و...

### المشهد الحادي عشر

(أرغان - بيرالد - توانيت)

توانيت: ماذا تريدين يا سيدتي؟!  
أرغان: ماذا؟!  
توانيت: ألم تناذني؟!  
ألم تناذني؟: أنا؟ لا.  
توانيت: إذن أخطأةتني أُؤْذني.  
أرغان: ابقي هنا قليلاً لترى هذا الطبيب كم يشبهك.  
توانيت: صحيح، ولكني مشغولة الآن.

(تخرج)

## المشهد الثاني عشر

(أرغان - بيرالد)

أرغان: لو لم أنظرهما معاً لاعتقدت أنهما واحد.

بيرالد: لقد قرأت أشياء مدهشة عن مثل هذه المشابهات، وكثيراً ما اتضحت لنا أن الناس موهومون في هذا الزمان.

أرغان: أما أنا فكنت أقسمت على أنَّ الشخصين هما واحد.

## المشهد الثالث عشر

(أرغان - بيرالد - توانيت (متنكرة بزي طبيب))

توانيت: العفو يا سيدي.

أرغان (لبيرالد بصوت خافت): غريب عجيب!

توانيت: أرجو منك أن لا يسوئك تطفيء بالحضور إلى هذا المكان لرؤيه مريض شهر مثلث، فالشهرة العريضة التي تتمتع بها تغفر لي الحرية التي اتخذتها.

أرغان: إني خادمك يا سيدي.

توانيت: أرى يا سيدي أنك تغرق في النظر إلى، فكم تظن أنَّ لي من العمر؟

أرغان: لا أظن أنك تجاوز السادسة أو السابعة والعشرين.

توانيت (تضحك): بل عمري تسعون سنة.

أرغان: تسعون سنة؟!

توانيت: أجل، وإنك لترى عاملاً من أسرار فني أبقاني يافعاً وصلباً إلى الآن.

أرغان: وحقك، إنه لشيخ صغير في التسعين من العمر.

توانيت: إني طبيب جوال أطوف من مدينة إلى مدينة، ومن مقاطعة إلى مقاطعة، ومن مملكة إلى مملكة؛ لأبحث لي عن مواد تليق بي، وأجد مرضى جديرين باهتمامي، حربين بالأسرار المدهشة التي اكتشفتها في الطب؛ فإني أُعْفُ عن اللهو بتلك الأمراض العادمة كالزكام والحميات الصغيرة وما شاكلها، وأريد أمراضاً خطيرة، كالحميات المشتركة والطاعون والسل الرئوي، فبهذه الأمراض ألهو وبها أنتصر، وكم أود لو أصبت بكل هذه

الأمراض وتخلى عنك جميع الأطباء فيئست وأشرفت على الموت؛ لأبرهن لك على عظم فائدة عقاقيري وشدة رغبتي في أداء خدمة إليك!

أرغان: إني مدين لك يا سيدي بالعطف الذي تشعر به نحوه.

توانيت: أعطني نبضك، هو! إن هذا النبض وقع جداً، أرى جيداً أنك لم تعرفني بعد، فمن هو طبيبك؟

أرغان: السيد بورغون.

توانيت: هذا الرجل لم يكتب اسمه على لوحي بين كبار الأطباء، لماذا يقول إنك مصاب؟

أرغان: يقول إنني مصاب بمرض الكبد، ويقول غيره بمرض المعدة.

توانيت: إنهم جهلاء جميعاً، فأنت مريض بالرئة.

أرغان: بالرئة؟!

توانيت: نعم؛ لماذا تشعر؟

أرغان:أشعر من حين إلى آخر بالألم في الرأس.

توانيت: تماماً، هي الرئة.

أرغان: ويُخيّل إلى أحياناً أنَّ على عيني غشاء.

توانيت: الرئة.

أرغان: وأشعر بعض الأحيان بألم في القلب.

توانيت: الرئة.

أرغان: وأحسُّ أحياناً بتعب في كل الأعضاء.

توانيت: الرئة.

أرغان: وفي بعض الأوقات تفاجئني آلام في البطن.

توانيت: الرئة، ألك شهية في ما تأكل؟!

أرغان: نعم يا سيدي.

توانيت: الرئة، أتحب أن تشرب قليلاً من النبيذ؟

أرغان: نعم يا سيدي.

### الفصل الثالث

توانيت: الرئة. ويدرك نعاس خفيف بعد الغداء فتميل للنوم؟

أرغان: نعم يا سيدي.

توانيت: الرئة، الرئة قلت لك، بماذا يشير عليك طبيبك أن تأكل؟

أرغان: يأمرني بالخضر.

توانيت: يا للجاهل!

أرغان: لحم الطيور.

توانيت: يا للجاهل!

أرغان: لحم العجول.

توانيت: يا للجاهل!

أرغان: واللبن.

توانيت: يا للجاهل!

أرغان: والبيض الطريء.

توانيت: يا للجاهل!

أرغان: وفي المساء بضع خوخات لتسهيل البطن.

توانيت: يا للجاهل!

أرغان: ويشير عليَّ أن أشرب النبيذ ممزوجاً بالماء.

توانيت: جاهمُ، جاهلون، جاهلون! اينبورانتوس، اينيورانتا، اينيورانتوم. يجب عليك

أن تأخذنبيذ صرفاً ليصبح دمك سميئاً، وينبغي لك أن تأكل لحم الفدادين المسمنة

والخنازير والجبنة الهولاندية والأرز والكستناء، فطبيبك أبله سخيف، وسأرسل إليك

واحداً منْ قبلي وأزورك من حين إلى آخر، ما زلت في هذه المدينة.

أرغان: إنك تسبغ عليَّ الظافك وتجعلني مديناً لك.

توانيت: ماذا تفعل بذراعك هذه؟!

أرغان: كيف؟!

توانيت: ألا ترى أنها تأخذ إليها الغذاء كله وتحرم منه الذراع الأخرى؟! لو كنت

مكانك لقطعتها!

مريض الوهم

- أرغان: ولكنني بحاجة إلى ذراعي.  
توانيت: ولو كنت مكانك لاقتلت العين اليمنى!  
أرغان: تقتلع عيناً؟!  
توانيت: ألا ترى أنها تفسد الأخرى وتمتنع عنها غذاءها؟! اسمع ما أقوله لك واقتعلها  
فتصبح أبعد نظراً بالعين اليسرى.  
أرغان: لا حاجة للإسراع.  
توانيت: وداعاً، إني آسف لترك الآن، ولكنني يجب علىي أن أحضر امتحاناً سُجْرَى  
على رجل مات أمس.  
أرغان: على رجل مات أمس؟!  
توانيت: نعم؛ لأقول ماذا كان ينبغي أن يُجرى له ليشفى، إلى اللقاء.  
أرغان: تعلم أن المرضى لا يشعرون.

### المشهد الرابع عشر

(أرغان - بيرالد)

- بيرالد: الحق يُقال إنه لطبيب حاذق.  
أرغان: أجل، ولكنه متسرع جداً.  
بيرالد: إن جميع كبار الأطباء هم على هذه الشاكلة.  
أرغان: أقطع ذرعاً وأقتلع عيناً لتقوم الأخرى في عافية! إني لأفضل أن تبقى الاشتتان  
على ما هما عليه، يا لها عملية جميلة يجعلني مقطوع اليد أعاور!

### المشهد الخامس عشر

(أرغان - بيرالد - توانيت)

- توانيت (تتظاهر بأنها تخاطب أحداً): هيا هيا، فأنا خادمتك ولا طاقة لي على  
الضحك.

أرغان: ما هناك؟!

توانيت: طببيك، ولقد حاول أن يجس نبضي.

أرغان: أرأيته؟ إنه يبلغ التسعين من العمر.

بيرالد: اسمع يا أخي، بما أنك قطعت علاقاتك بالسيد بورغون لا تريد أن أخاطبك

بشأن النصيب المتقدم لابنتك؟

أرغان: لا يا أخي، أريد أن أدخلها إلى الدير؛ لأنها تمردت على مشيئتي وأرى أن هناك

عشقاً صغيراً، ثم إنني اكتشفت في هذا الصدد بضعة أسرار لا يعلم أحد أنني اكتشفتها.

بيرالد: قل لي يا أخي، أي ذنب على ابنة تشعر بميل إلى فتى؟! وهل ثمة ما يثير

الغضب إن يكن الأمر شريفاً كالزواج؟!

أرغان: مهما يكن فإنها ستصير راهبة، ولقد عزمت.

بيرالد: أتريد أن ترضي أحداً بذلك؟!

أرغان: فهمت ماذا تقصد، إن زوجتي تضغط على قلبك.

بيرالد: بما أنك ت يريد أن أخاطبك بقلب مفتوح أقول لك نعم، فامرأتك هي التي

أتصدّها، ولا أخفّ عنك أنك تنزل على جميع مقاصدها وتقع في جميع الفخاخ التي  
تنصبها لك.

توانيت: آه! لا تفلت لسانك على مولاتي يا حضرة السيد؛ فهي امرأة لا يستطيع أحد

أن يتناولها بكلمة سوء ... تحب مولاي ويحبها.

أرغان: سلها عن شدة تعلقها بي.

توانيت: صحيح.

أرغان: وعن القلق الذي يسببه لها مرضي.

توانيت: بكل تأكيد.

أرغان: وعن العناية التي تخمني بها.

توانيت: نطق حقاً. (بيرالد) أتريد أن أعطيك برهاناً على تعلق مولاتي بمولاي؟!

(أرغان) أتقبل أن أفحّمه بالحجّة؟!

أرغان: كيف؟!

توانيت: ستحضر مولاتي إلى هنا، فتمدد على هذا المقعد وتظاهر بأنك ميت، فترى بأُم عينك أي حزن يستولي عليها عندما أطلعها على النبأ.  
أرغان: رضيت بذلك.

توانيت: نعم؛ ولكن لا تدعها طويلاً في قنوطها لئلا تموت.  
أرغان: دعني أفعل.  
توانيت (لبيرالد): اختبئ أنت في هذه الزاوية.

### المشهد السادس عشر

(أرغان – توانيت)

أرغان: ألا ينجم خطر من التظاهر بالموت؟!  
توانيت: لا لا. أي خطر؟ تمدد هنا فقط، هي ذي مولاتي فاستعد.

### المشهد السابع عشر

(بلين – أرغان (ممدداً على مقعده) – توانيت)

توانيت (تتظاهر بأنها لم تر بلين): آه، يا الله! آه! يا للشقاء! يا للحادث المشؤوم!

بلين: ماذا، توانيت؟!  
توانيت: آه يا سيدتي!  
بلين: ماذا جرى؟!  
توانيت: زوجك مات!  
بلين: زوجي مات؟!  
توانيت: وا حسرتاه! نعم؛ مات زوجك المسكين!

بلين: صحيح؟!

توانيت: صحيح، ولم يعلم أحد بالنبيّ بعدُ، لقد مات بين ذراعيّ، فانظري إليه ممددًا على هذا المقدّ.

بلين: شكرًا للسماء! لقد تملصت من حمل ثقيل، يا لك بلهاء يا توانيت! ما الذي يحزنك؟!

توانيت: خُيّل إليّ يا مولاتي أنّ البكاء ضروري.

بلين: هيّا هيّا، لا موجب للبكاء، أي خسارة هي هذه؟! وماذا كانت فائدته على الأرض؟! رجل غير الرجال، قذر، ممقوت، لا هدنة للأدوية في بطنه، يبصق، يسعل دائمًا، لا فكر له ولا مجلس، مضجر، يُتعب الناس ويوبخ الخدم والخدمات ليل نهار!

توانيت: إنّه لتائبٍ جميل.

بلين: ينبغي يا توانيت أن تساعديني على تنفيذ خطتي، وأن تعلمي أن تعبك لن يذهب سدى، وبما أنّ حسن الحظ شاء أن لا يعلم أحد بمותו فلنحمله إلى سريره ولنترك مותו مجهولاً إلى أن أنجز عملي، فهناك أوراق ونقود أريد أن أستولي عليها، فليس من العدل أن أكون صرفت زهرة عمري بالقرب منه دون ثمرة، تعالى توانيت، ولنبدأ بالاستيلاء على المفاتيح.

أرغان (ينهض فجأة): على رسالك!

بلين: آهي!

أرغان: نعم؛ يا سيدتي يا زوجتي، أهكذا تحبيني؟!

توانيت: آه آه، لم يتم!

أرغان (لبلين وهي خارجة): إنني لشديد الغبطة بمعونة عطفك وسماع تأبينك لي، ولكنني سأكون حكيمًا في المستقبل فلا أنجز كثيرًا من الأشياء.

## المشهد الثامن عشر

(بيرالد (خارج من مخبأه) – أرغان – توانيت)

بيرالد:رأيت يا أخي؟!

توانيت: وحق نفسي، ما كنت لأصدق ذلك، ولكن اسمع ... ابنتك قادمة، فتمدد كما  
كنت ولنر بأي شكل ستقلى خبر موتك، فالاختبار حسن في كل شيء.  
(بيرالد يختبئ في الزاوية).

### المشهد التاسع عشر

(أرغان - أنجليكا - توانيت)

توانيت (تتظاهر بأنّها لم تَرْ أنجليكا): أوه! يا للسماء! أوه! يا للنبا المفجع! يا للنهار!  
المشؤوم!  
أنجليكا: ما بك توانيت؟! ماذَا جرى؟!  
توانيت: وأسفاه! نبا مفعع!  
أنجليكا: ما هو هذا النبا؟!  
توانيت: والدك مات!  
أنجليكا: والدي مات يا توانيت؟!  
توانيت: نعم؛ انظري إليه، فقد مات منذ هنـيـة على أثـر ضـعـف شـدـيد أـدرـكـه فـجـأـةـ.  
أنجليكا: آه! أيتها السماء! يا لسوء الـبـخـتـ! يا للمـصـيـبةـ الـظـالـمـةـ! واـحـسـرـتـاهـ! أـفـقـدـ  
والـدـيـ وـهـوـ آخرـ ماـ بـقـيـ لـيـ فـيـ العـالـمـ! أـفـقـدـهـ وـهـوـ غـضـبـانـ عـلـيـ؟! مـاـذـاـ يـحـلـ بـيـ؟! يـاـ لـيـ  
منـ شـقـيـةـ! أـيـ عـزـاءـ لـيـ بـعـدـ أـبـيـ؟! بـعـدـ هـذـهـ الـخـسـارـةـ الـفـارـحةـ؟!

### المشهد العشرون

(أرغان - أنجليكا - كليانت - توانيت)

كليانت: ما بك يا جميلتي أنجليكا؟! وأي نكبة تبكين؟!  
أنجليكا: آه! أبكي أعز ما لدى في الحياة! أبكي والدي.

كليانت: آه! أيتها السماء! يا للكارثة! يا للضربة! وا حسرتاه! بعد أن توسلت إلى عمك أن يطلب لي يدك من والدك جئت الآن لأنّقدم نفسي إليه وأستمنحه يدك.

أنجليكا: آه يا كليانت! لنغلق هذا الحديث، ولندع هنا فكرة الزواج، فبعد موته والدي صرت أتوق إلى هجر هذا العالم. أجل يا والدي، لئن كنت تمردت على مشيئتك فسأعمل على الأقل حسب رغباتك وأكفر بهجري العالم عن الحزن الذي سببته لك، أقبل يا والدي أن أعانقك وأنت ميت ...

أرغان (يعانق أنجليكا): آه يا بنتي!

أنجليكا: آهي!

أرغان: تعالى ولا تخافي، فلم أمت يا بنتي، أنت من دمي الحقيقي وبنتي الحقيقة.

## المشهد الحادي والعشرون

(أرغان - بيرالد - أنجليكا - كليانت - توانيت)

أنجليكا: يا للمفاجأة اللذيدة! بما أنَّ السماء أعادتك إلى يا والدي، فاقبل أن أرتمي على قدميك وأتوسل إليك بشيء واحد: إن تكن غير راضٍ بيّلي، وإنذا شئت أن ترفض كليانت زوجاً لي، فإني أقسم لك أن لا أتزوج أحداً غيره، هذا كل ما أطلبه إليك.

كليانت (يرتمي على قدمي أرغان): سيدى، أقبل توسلاتها وتتوسلاتي، ولا تقف حائلاً دون هوٌ جميل.

بيرالد: أتقدر يا أخي أن تعارض أمراً كهذا؟!

توانيت: سيدى، أ تكون متجرأً أمام حب كهذا الحب؟!

أرغان: أقبل بالزواج بشرط أن يصير طبيباً. (كليانت) اعمل طبيباً فأعطيك ابني.

كليانت: بطيبة خاطر يا سيدى، إن يكن زواجي من ابنته متوقفاً على هذا فإني أُعاهدك على أن أصير طبيباً بل أجزائياً أيضاً، وإنذا اقتضى الأمر أن أصير أكثر من ذلك فإني مستعد لأن أصيّره في سبيل أنجليكا الجميلة.

بيرالد: ولكن خطرت لي فكرة يا أخي، فاعمل طبيباً أنت أيضاً، فالحال تكون أنساب إنذا وجدت في نفسك كل ما تحتاج إليه.

توانيت: حَقًا قال؛ فهذا أنسب شيء لتشفَّى عاجلًا.

أرغان: أظُنْكَ تسرِّخ مِنِي يا أخي! فهل أستطيع أن أدرس الطب بعد هذه الكُبرة؟!

بيرالد: تدرس الطب؟! وهل أنت بحاجة إلى درسه؟! أليس في الأطباء من هم دونك علَّماً ومعرفة؟!

أرغان: ولكن ينْبغي لي أن أكون عارفًا باللغة اللاتينية لأتمكن من تمييز الأمراض والعُقاقيـر.

بيرالد: عندما تتسلـم ثوب الطبيب وقبعـته تتـعلم كل ذلك، وتـصبح بعـدئـٍ أحـدـقـ ما تـتصـوـرـ!

أرغان: عندما ألبـسـ هذا الثـوبـ أصـيرـ عـارـفـ بمـصـارـدـ الـأـمـراـضـ؟!

بيرالد: نـعـمـ؛ فـمـاـ عـلـيـكـ إـلـاـ أـنـ تـتـكـلـمـ بـثـوـبـ وـقـبـعـةـ ليـصـبـحـ كـلـ جـاهـلـ عـالـمـاـ وـكـلـ سـخـافـةـ حـجـةـ.

توانيت: اسمـعـ يـاـ سـيـديـ، فـلـحـيـتـ حـاضـرـةـ، وـالـلـحـيـةـ نـصـفـ الطـبـيـبـ.

أرغان: على كـلـ أـنـاـ مـسـتـعـدـ!